الفصل الثانى

الوحى

- معانى الوحى .
- فعل الوحى فى القرآن .
- كلمة الوحى فى القرآن .
- الوحى فى السُّـنَّة .
- مذهب المتكلمين فى الوحى .
- الوحى عند الفلاسفة .
- الوحى عند المتصوّفة .
- الوحى عند ابن خلدون .
- الوحى عند الإمام محمد عبده .
- علاقة الوحى بالرؤيا .
- آراء العلماء المعاصرين .

obeikandl.com

obeikandl.com

الوحى

● مقـــدمة :

يمثل الوحى ركناً مهماً فى النبوة ، فإذا كان النبى هو سفير بين الله وخلقه ، والنبى هو الذى يتلقى عن الله أوامره ونواهيه ويُبلِّغها إلى الخلق ، والوحى هو طريق ذلك كله ، فعن طريق الوحى يتصل النبى بربه ويُبلِّغ عنه ، والوحى أيضاً هو مضمون ما يُبلِّغه النبى عن ربه هو جملة تلك الأوامر والنواهى الإلَهية .

فالوحى إذن هو عماد النبوة ، وهو صفتها الأساسية ، لذا كان من الضرورى أن نتناوله بشىء من التفصيل ، ونحاول أن نتعرف على معناه اللُّغوى والاصطلاحى الشرعى ، وإذا كان لكلمة « الوحى » معان عدة ، فإن هناك معنى تختص به النبوة .

وأيضاً نعرض لتفسيرات الفرق الإسلامية المختلفة للوحى ، فنذكر الوحى فى القران والسُّنَّة باعتبارهما مصدراً أساسياً للفكر الإسلامى بمختلف اتجاهاته ، ثم نذكر رأى المتكلمين والفلاسفة والمتصوِّفة ، وعند ابن خلدون ، وفى العصر الحديث عند الإمام محمد عبده ، وذلك حتى نلم بالتفسيرات المتعددة للوحى .

ثم نتطرق للعلاقة بين الوحى والرؤيا ، وذلك لأن العلاقة بينهما وثيقة .

❊ ❊ ❊

١ - معانى الوحى

● المعنى اللُّغوى :

الوحى هو : الإشارة والكفاية والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفى ، وكل ما ألقيته إلى غيرك ، والصوت يكون فى الناس وغيرهم كالوحى والوحاة .

وأوحى إليه : بعثه وألهمه ، ونفسه وقع فيها خوف ، والوحى : السيد الكبير

والنار والملك والعجلة والإسراع ويمد ، ووحى وتوحى: أسرع ، وشىء وحى: عجل مسرع ، واستوحاه : حرَّكه ودعاه ليرسله واستفهمه ، ووحاه توحية: عجَّله [1] .

وفى المعجم الوسيط نجد تفصيلاً للمعنى اللغوى للكلمة والفعل المشتق منه : « وحى » إليه ، وله ، « يحى » ، وحياً : أشار وأومأ ، وكلَّمه بكلام يخفى على غيره ، وكتب إليه ، وأمره ، وأرسل ، وألهمه ، وسخَّره .

« وحى » العمل : عجَّله ، والذبيحة ذبحها ذبحاً وحياً : أى سريعاً .

« تَوَحىَّ » أسرع ، « استوحى » الإنسان والحيوان : دعاه واستعجله .

« الوحى » : كل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه ، ما يوحيه الله إلى أنبيائه ، والصوت يكون فى الناس وغيرهم .

« الوَحَى » يقال فى الاستعجال ، الوَحَى ، الوَحَى : البدار البدار » [2] .

ولقد ذكر هذه المعانى كثير من اللُّغويين وذكروا معانى غيرها ، ويمكن القول بإيجاز أن المعانى اللُّغوية لكلمة الوحى أو الفعل المشتقة منه تعنى فى مجملها المعانى الآتية :

١ - أن أصل الوحى فى اللُّغة الإسرار والإعلام فى خفاء ، ولذلك صار الإلهام وحياً .

٢ - اشتقاق الوحى بمعنى الإلهام من الوحى بمعنى السرعة ، لأن الوحى يجىء بسرعة ويُتلقى بسرعة .

٣ - أن أصل المادة السرعة والخفاء معاً ، فالوحى : الإعلام السريع الخفى .

٤ - أن أصل هذه المادة هو إلقاء الشىء إلى الغير ، فأصل الإيحاء إلقاء الموحى إلى الموحى إليه [3] .

* * *

---

(١) الفيروزآبادى : القاموس المحيط : ٤/ ٤٠٠ ، وتجد هذا المعنى فى مختار الصحاح ص ٧١٣ (٢) المعجم الوسيط ص ١٠١٨ - ١٠١٩

(٣) الشيخ مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام ص ٤٥ ، ٤٦

٢ - فعل الوحى فى القرآن

يُسند فعل الوحى فى القرآن غالباً إلى الله ، وهو فى كثير من الآيات مبنى للمجهول .

وقد جاء فى آيات إسناد الوحى إلى غير الله ، فأسند إلى شياطين الإنس والجن فى الآية (١١٢) من سورة الأنعام ، وفى الآية (١٢١) من السورة نفسها نسبة الوحى إلى الشياطين ، وفى الآية (١١) من سورة مريم نسبة الوحى إلى زكريا ، وفى الآية (٥١) من سورة الشورى : ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾(١) أى الرسول ، وفى الآية العاشرة من سورة النجم : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ (٢) ، ومن وجوه تفسير هذه الآية فأوحى : أى جبريل .

أما الموحَى إليه فهو فى أكثر الأمر النبى ﷺ أو غيره من الأنبياء عليهم السلام .

وورد الوحى إلى الحواريين فى الآية (١١١) من سورة المائدة ، وفى الآية (٩٣) من سورة الأنعام : الموحى إليه ليس نبياً على الحقيقة ، وفى الآية (١١٢) من سورة الأنعام : الموحى إليه شياطين الإنس والجن ، وفى الآية (١٢١) من السورة نفسها : الموحى إليه هم أولياء الشياطين ، وفى الآية (١٢) من سورة الأنفال : الموحى إليه هم الملائكة ، وفى الآية (٦٨) من سورة النحل : الموحى إليه النحل ، وفى الآية (٣٨) من سورة طه : الموحى إليه أم موسى ، وفى الآية (٧) من سورة القصص : الموحى إليه أم موسى أيضاً ، وفى الآية (١٢) من سورة فصلت : ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ (٣) ، وفى الآية الخامسة من سورة الزلزلة : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ (٤) : أى الأرض .

ولقد فُسِّر الإيحاء فى هذه الآية الأخيرة بالأمر أو الإعلام .

---

(١) الشورى : ٥١ (٢) النجم : ١٠
(٣) فصلت : ١٢ (٤) الزلزلة : ٥

وفُسِّر قوله : ﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ (١) بأن المراد ألقى فى كل سماء من السموات السبع ما أراد من الخلق .

والوحى إلى أُمِّ موسى ، أن معنى : « أوحينا إليها » - أى قذفنا فى نفسها وليس وحى نبوة .

وفُسِّر الوحى إلى النحل بالإلهام والقذف فى النفس ، وفُسِّر بالتسخير .

ووحى الشياطين من الإنس والجن بعضهم إلى بعض كوحى الشياطين إلى أوليائهم ، هو الوسوسة والإسرار بالمُزيَّن من الأقوال الباطلة .

أما الآيات التى أسند فيها فعل الوحى إلى غير الله تعالى ، مثل قوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (٢) ، قال الطبرى فى تفسيرها : وقوله : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ﴾ يقول : أشار إليهم ، وقد تكون تلك الإشارة باليد وبالكتاب ، وبغير ذلك مما يُفهم به عنه ما يريد .

وما ورد فى الآية (٥١) من سورة لشورى من قوله : ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ (٣) فسَّره الطبرى بقوله : « أو يرسل الله من ملائكته رسولاً ، إما جبريل وإما غيره ، فيوحى ذلك الرسول إلى المرسَل إليه بإذن ربه ما يشاء ، يعنى ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهى وغير ذلك من الرسالة والوحى (٤) .

* * *

٣ - كلمة الوحى فى القرآن

وأما لفظ الوحى فقد ورد فى القرآن ست مرات هو منها كلها من الله تعالى والموحى إليه فيها جميعاً من الأنبياء ، وهذا هو إيحاء الله إلى أنبيائه ورسله أى إلقاؤه إليهم ما يريد أن يعلموه من المعارف الدينية .

---

(١) فصلت : ١٢ (٢) مريم : ١١ (٣) الشورى : ٥١

(٤) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام ص ٤٦ - ٥١

ولقد عبَّر القرآن عن هذا المعنى بالتنزيل ، فجعل القرآن وحياً وجعله تنزيلاً كما قال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (١) .

وقال : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدىً لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ (٣) .

وعبَّر عنه أيضاً بالكلام في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ (٤) .

حيث جعل الوحي نوعاً من كلامه وقسماً من أقسامه ، ففرق بين تكليم الوحي والتكليم بإرسال الرسول والتكليم من وراء حجاب .

وعلى هذا فالوحي قسم من كلام الله العام الذي جاءت به الآية ، وهي التي جعلت كلام الله لعباده على ثلاثة أنحاء لا يجاوزها .

ولقد ذكر المفسِّرون في تأويل هذه الآية أنه ما صح لأحد من بني آدم أن يُكلِّم ربه إلا على أحد ثلاثة أوجه :

إما على الوحي ، وهو الإلهام والقذف في القلب أو المنام .

وإما على أن يُسمعه كلامه ولا يراه من غير واسطة مُبلِّغ ، كما كلَّم نبيه موسى عليه السلام .

وإما على أن يرسل الله من ملائكته رسولاً ، جبريل أو غيره ، فيبلِّغ ذلك الملَكَ إلى المرسل إليه البشري ما يشاء الله من أمر ونهي وغير ذلك .

وقيل : إن معنى قوله : ﴿ وَحْياً ﴾ أن يوحي إلى المرسل عن طريق الملائكة ،

---

(١) الشورى : ٧ (٢) يوسف : ٢

(٣) آل عمران : ٣ - ٤ (٤) الشورى : ٥١

ومعنى قوله : ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً ﴾ أى نبياً كما كلَّم أُمم الأنبياء على ألسنتهم .

وإذا استقصينا مادة الوحى فى القرآن وجدنا الاسم المصدرى يُستعمل فى الدلالة على القسم الأول غالباً ، ويستعمل أحياناً فى تنزيل القرآن به على النبى كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ (١) .

وتنزيل القرآن من قبيل النوع الثالث ، إذ هو كلام من الله بواسطة جبريل بنص القرآن فى أكثر من موضع .

أما فعل الوحى فقد استعمل فى الأقسام الثلاثة ، فيكون القرآن قد قصر اسم الوحى على ما يكوْن إلهاماً وقذفاً فى النفس أو ما يكون بواسطة المَلَك ، على حين استعمل الفعل فى الدلالة على هذين القسمين وعلى كلام الله لأنبيائه بلا وساطة من وراء حجاب .

وليس فى القرآن تفصيل لمعانى هذه الأقسام الثلاثة ، غير أن المفهوم من جملة الآيات أن القسم الأول غير خاص بالأنبياء ، فقد أوحى الله إلى الحواريين وأوحى إلى أم موسى ، وذلك بناء على أن الوحى فيما ذُكِر مُفسَّر بالإلهام والإلقاء فى القلب ، وبعض المفسرين يجعل الوحى فى ذلك إعلاماً بواسطة المرسلين فى زمنهم ، ليخص الوحى بمعنى الإلهام بالأنبياء ، وعلى كل حال فهذا المعنى روحى لا يقبل أن تتجه الأفكار فيه إلى التأويل على نحو مادى .

أما القسم الثانى - وهو الكلام من وراء حجاب ، فقد كان منذ فجر الإسلام مجالاً لتنازع الآراء وتصادم المذاهب ، حتى ليقول الرازى فى تفسيره : إن القائلين بأن الله فى مكان يستدلون بقوله : ﴿ أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ (٢) .

وأما القسم الثالث - وهو إرسال الرسول المَلَكى إلى الرسول البَشرى فيوحى

---

(١) طه : ١١٤ (٢) الشورى : ٥١

إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه - فإن التوفيق بين نصوص القرآن فيه لم يكن موضع وفاق دائماً .

وهذا النوع من الوحى هو الذى جاء القرآن من سبيله عبَّر عنه بنزول الملائكة ، وذلك فى ظاهر اللفظ حركة من الأعلى إلى الأسفل تعطى صورة مادية للمَلَك ونزوله : ﴿ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً ﴾ (١) ، ويتسق مع هذه الصورة ما ورد فى القرآن من استواء الله على العرش ، ومن جعل الملائكة حافين من حول العرش ، ومن رؤية النبى لجبريل ، ويتسق معه قوله عَزَّ وجَلَّ : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ (٢)، وقوله : ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾(٣)، وقوله : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ (٥) .

لكن بعض الآيات يفيد أن المَلَك النازل بالوحى روح وأنه يتصل بقلب النبى اتصالاً روحياً كقوله تعالى : ﴿ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ ﴾ (٦) ، وقوله : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ (٧) ، وقوله : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ (٨) .

وهكذا كان الرأى فى هذا النوع من الوحى مختلفاً بين مَن يراه نزول المَلَك من السماء إلى الأرض لإبلاغ النبى دين الله وشرعه ، وبين من يراه تلقفاً روحانياً من الله العلى بواسطة المَلَك الروحانى (٩) .

❊ ❊ ❊

---

(١) الفرقان : ٢٥ (٢) فاطر : ١٠ (٣) السجدة : ٥
(٤) النحل : ٥٠ (٥) المعارج : ٤ (٦) النحل : ١٠٢
(٧) الشعراء : ١٩٣ - ١٩٤ (٨) البقرة : ٩٧
(٩) نقلاً عن كتاب : الدين والوحى والإسلام - للشيخ مصطفى عبد الرازق (باختصار) ص ٥١ - ٥٦

٤ - الوحى فى السُّنَّة

فصَّلت كتب الحديث والسير مراتب الوحى التى كانت للنبى عليه السلام تفصيلاً بلغ حد السرف أحياناً ، فقد نقل صاحب المواهب اللدنية أن الحليمى ذكر أن الوحى كان يأتى النبى على ستة وأربعين نوعاً .

ولعل المعتدلين هم الذين أخذوا من الأحاديث سبع مراتب للوحى يمكن إيجازها فيما يلى :

١ - الرؤيا الصادقة ، وكانت مبدأ وحيه صلى الله عليه وسلم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . . ولقد قال النبى عليه السلام : « الرؤيا ثلاثة : رؤيا من الله ، ورؤيا تحذير من الشيطان ، ورؤيا مما يُحدِّث به الرجل نفسه فى اليقظة فيراه فى المنام » .

٢ - ما كان يلقيه المَلَك فى روعه وقلبه من غير أن يراه كما قال صلى الله عليه وسلم : « إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله ، فإن ما عند الله لا يُطلب إلا بطاعته » .

٣ - كان يتمثل له المَلَك رجلاً ، ويخاطبه حتى يعى عنه ما يقول له ، فقد كان يأتيه أحياناً فى صورة دحية بن خليفة الكلبى ويراه الصحابة .

٤ - أنه كان يأتيه مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه ، فيلتبس به المَلَك ، حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً فى اليوم الشديد البرد ، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها .

٥ - أن يرى المَلَك فى صورته التى خُلِق عليها .

٦ - ما أوحى الله إليه به وهو فوق السموات ليلة المعراج من فرض الصلوات وغيرها بواسطة جبريل .

٧ - تكليم الله له من وراء حجاب بلا وساطة مَلَك ، كما كلَّم موسى ابن عمران ، وهذه المرتبة ثابتة لموسى بن عمران ، بنص القرآن وثابتة للنبى فى حديث الإسراء .

وهذه هى بإيجاز الصور التى تمثلها السُّنَّة من الوحى إلى النبى محمد عليه السلام [١] .

❊ ❊ ❊

٥ - مذهب المتكلمين فى الوحى

لا يبعد فهم المتكلمين للوحى كثيراً عما قرره القرآن من معانى الوحى وكيفية نزوله ، وكذلك المعانى اللُّغوية للوحى .

فعلى سبيل المثال يذكر الماتريدى المعانى المختلفة لكلمة الوحى ، وهى على وجوه منها :

١ - **النبوة** : وهى إرسال الله الملائكة إلى أنبيائه ورسله : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً ﴾ [٢] .

٢ - **الإشارة** : بقوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِم أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [٣] .

٣ - **الإلهام** : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [٤] .

---

(١) نقلاً عن كتاب : الدين والوحى والإسلام - للشيخ مصطفى عبد الرازق ص ٥٦ - ٥٩، وانظر أيضاً : ابن تيمية ، الرد على المنطقيين ص ٤٩٠ وما بعدها .

(٢) الشورى : ٥١ (٣) مريم : ١١ (٤) النحل : ٦٨

٤ - **الإسرار** كقوله : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ ﴾ (١) .

وأصل الوحى هو أن يلقى الإنسان إلى صاحبه شيئاً للاستتار والإخفاء ، وقد يكون ذلك بالإيماء ، ويرى الماتريدى أن الأصل فى التسمية بكلمة « وحى » أنه سمى به لسرعة وقوعه وقذفه بالقلب (٢) .

ويُفرِّق الماتريدى بين الوحى والإلهام ، وإن كان يسمى وحياً لسرعة وقوعه فى القلب وقذفه فيه ، بأن الإلهام لا يدرى العبد كيف حصل له ، ومن أين حصل ، فإن كان ما قُذِف فيه خيراً فهو من المَلَك ، وإن كان شراً فهو من قذف الشيطان ووسوسته ، ونجد تلك التفرقة تتكرر من بعد الماتريدى على لسان الغزالى (٣) .

وواضح من أقوال الماتريدى فى الوحى أن الوحى غالباً يُسند إلى الله ، وقد يُسند إلى غير الله ، أما الموحى إليهم منهم - فى الأكثر - الأنبياء ، وأيضاً يوحى إلى غيرهم .

والقرآن منزَّل على النبى عليه السلام بواسطة جبريل ، ولقد اختلفوا فى معنى الإنزال .

فمنهم مَن قال : إن معناه إظهار القراءة .

ومنهم مَن قال : إن الله ألهم كلامه جبريل وعلَّمه قراءته ثم جبريل أدَّاه فى الأرض .

ومنهم مَن قال : يتلقفه المَلَك من الله تلقفاً روحانياً ، أى يحفظه من اللوح المحفوظ ، فينزل به إلى الرسول ويلقيه عليه .

---

(١) الأنعام : ١١٢

(٢) الماتريدى ، تأويلات أهل السُّنَّة : ١/ ٩٦٤

(٣) المرجع السابق : ١/ ٥٢٥ ، ٢/ ١٩١ ، ١٩٢ ، ولرأى الغزالى : المنقذ من الضلال ص ٣٨ - ٣٩

ومنهم مَن جعل اختلاف العلماء فى معنى الإنزال مترتباً على اختلافهم فى معنى القرآن : فالذين يقولون إن القرآن معنى قائم بذاته تعالى يقررون أن إنزاله هو إيجاد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى وإثباته فى اللوح المحفوظ ، والذين يقولون : إن القرآن هو اللفظ يقررون أن إنزاله هو مجرد إثباته فى اللوح .

وأشهر ما قيل فى المنزَّل على النبى ﷺ ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه اللفظ والمعنى .

ثانيها : أن جبريل نزل بالمعانى خاصة ، وأنه - صلى الله عليه وسلم- علمها وعبَّر عنها بلغة العرب ، وتمسك أصحاب هذا المذهب بظاهر قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينِ * عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ (١) .

ثالثها : أن جبريل ألقى عليه المعنى ، وأنه عبَّر عن هذا المعنى بلغة العرب ، ثم نزل به فى هذه الصورة على الرسول .

ومنهم مَن قال : كلام الله المنزَّل قسمان :

قسم قال الله تعالى بشأنه لجبريل عليه السلام : قل له كذا ، فيجوز تغييره بعبارة نفسه ، وهذا القسم هو السُّنَّة .

وقسم قال له بشأنه : اقرأ عليه كذا ، فهو لا يُغيِّر منه كلمة ولا حرفاً ، وهذا القسم هو القرآن .

ويقول المتكلمون : إن في التنزيل طريقين :

أحدهما : انخلاع النبى عليه السلام من صورة البَشرية إلى صورة المَلَكية ثم أخذه من المَلَك .

---

(١) الشعراء ١٩٣ - ١٩٤

ثانيهما : تمثل المَلَك بصورة البَشرية حتى يأخذ الرسول منه ، وهذه الأحوال ممكنة للرسول ، سواء انخلاعه عن البَشرية ، أو استعداده للتلقى عن المَلَك [١] .

ولقد ارتبط الوحى بمشكلة كلام الله تعالى عند المتكلمين ، وهل القرآن مخلوق أم قديم ، وسوف نشير فيما يلى بإيجاز إلى هذه المشكلة لنتبين مدى ارتباطها بالوحى ، وهل أثَّر الخلاف فيها على الموقف من الوحى .

اختلف المتكلمون فى طبيعة الكلام الإلَهى ، فهم وإن كانوا يتفقون بأن لله تعالى كلاماً ، وأنه وحيه لأنبيائه ، إلا أنهم اختلفوا فى طبيعة الكلام الإلَهى ، فهل هو من جنس كلامنا وحادث ، أم أنه من غير جنس كلامنا وقديم ؟

وبدون الدخول فى تفصيلات مواقف المتكلمين إلا أننا يمكن أن نميِّز بين اتجاهين :

الأول : يرى أن كلامه تعالى هو هذه الحروف والأصوات المقروءة والمسموعة والمكونة من عبارات وجمل ، وأنه من جنس كلامنا ، ومن هؤلاء فريق من الحنابلة يقولون : بقدم هذه الحروف ، وهؤلاء يرون أن الرسول أو المَلَك يسمى هذه الأصوات القديمة بلا واسطة [٢] .

ومِنْ هؤلاء مَن يقول بقيام الحروف والأصوات الحادثة بذاته تعالى ، فالرسول يسمع الحروف والأصوات الحادثة القائمة بالذات القديمة من غير واسطة وهؤلاء هم الكرَّامية ، وموجز رأيهم أن الله تعالى لم يزل متكلماً قائلاً بقائلية لا بقول ، والقائلية هى قدرته إلى القول ، وقوله حروف حادثة فيه ، فقول الله تعالى عندهم حادث فيه وكلامه قديم [٣] .

---

(١) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام ص ٦٠ - ٦٣

(٢) أحمد بن حنبل : الرد على الزنادقة والجهمية ص ٣٤ ، ٣٥ ، والشهرستانى : نهاية الإقدام ص ٣١٣

(٣) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢١٩

ويرى المعتزلة بأن حد الكلام هو ما حصل فيه نظام مخصوص من هذه الحروف المعقولة ، وحصل فى حرفين أو حروف ، فما اختفى بذلك وجب كونه كلاماً ، وما فارقه لم يجب كونه كلاماً » [١] .

وهذا هو حد الكلام فى الشاهد ولا يوجد كلام من غير جنس كلامنا .

وإذا كان الكلام يكون من حروف وأصوات مقطعة فلا بد من محل يحدث فيه الكلام ، لأن حكم الكلام حكم سائر المدركات ، فى أنه يوجد فى المحل ويستحيل وجوده لا فى محل ، وهو حادث فى جسم من الأجسام [٢] .

وعلى هذا فيمكن القول بإيجاز أن المعتزلة تقول : بأن الكلام الإلَهى هو مكوَّن من هذه الحروف والأصوات ، لكن ليس قائماً بذاته تعالى ، بل هو حادث أحدثه الله فى جسم آخر ، أو كما يقولون : حادث فى محل .

وقد فسَّروا قوله تعالى : ﴿ أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [٣] بأن يُسمعه كلامه الذى يخلقه فى بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع مَن يكلمه لأنه فى ذاته غير مرئى .

أما الاتجاه الثانى فهو يرى نوعاً من الكلام غير المعهود لدينا ، وهو الكلام النفسى ، ويوضح الجوينى من الأشاعرة حد الكلام أنه القول القائم بالنفس ، الذى تدل عليه العبارات وما يُصطلح عليه من الإشارات ، وهذا هو الفكر الذى يدور فى النفس ، فهو ليس تلك الأصوات والحروف بل هى تدل عليه [٤] .

وعلى هذا فالكلام الحقيقى هو الذى يدور فى النفس ، وأما العبارات والألفاظ فتسمى كلاماً جوازاً لأنها ليست بكلام حقيقة لأنها عبارة عنه .

فالكلام عند الأشاعرة صفة للمتكلم ، وليس فعل الكلام ، وعلى ذلك فكلام

---

(١) القاضى عبد الجبار : المغنى : ٦/٧

(٢) القاضى عبد الجبار : المغنى : ٢٦/٧ ، البغدادى : أصول الدين ص ١٠٦

(٣) الشورى : ٥١ (٤) الجوينى : الإرشاد ص ٩٩

الله تعالى صفة قديمة تدل عليها هذه العبارات والألفاظ ، فقد اتفقنا على أن قوله تعالى : ﴿ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ أن المَلَك أو الرسول يسمع ذلك الكلام المنزَّه عن الحروف والصوت من وراء حجاب ، وقالوا : ولما لم يبعد أن تُرى ذات الله ، مع أنه ليس بجسم ولا فى حيز ، فأى بُعْد فى أن يُسمع كلام الله ، مع أنه لا يكون حرفاً ولا صوتاً .

ولقد ذهب إلى نفس ما ذهب إليه أحمد بن حنبل من أن الله تعالى قد أسمع موسى كلامه بلا واسطة (١) .

ورأى الماتريدى موافق لرأى الأشاعرة ، لكن الخلاف فى أنه يقول بأن الله تعالى خلق صوتاً أسمع موسى عن طريقه كلامه .

ولقد عارض شارح العقيدة الطحاوية رأى الماتريدى فى الكلام النفسى (الذى يوافق فيه الأشاعرة) ، وأيضاً قوله بأن موسى قد سمع كلامه تعالى عن طريق صوت خلقه الله .

ولقد ذكر مفسِّر الطحاوية للكلام النفسى ، وأنهم قالوا : إن القول بأن معنى: «قائماً بنفسه » ، يعنى أن المَلَك فهم منه معنى قائماً بنفسه ، ولم يسمع منه حرفاً ولا صوتاً ، بل فهم معنى مجرداً ثم عبَّر عنه ، فهو الذى أحدث نظم القرآن وتأليفه العربى (٢) .

ويمكن الرد على هذه الاعتراضات بالقول بأن الماتريدى ، قال : إن موسى سمع كلام الله القديم عن طريق صوت خلقه ، وذلك ليبين عدم مماثلة كلام الله لكلام البَشر ، فعلى الرغم من أنه قال بجواز سماع ما وراء الأصوات ، وقال : العلم

---

(١) الشهرستانى : نهاية الإقدام ص ٣١٣

(٢) علىّ بن محمد بن العز : شرح الطحاوية فى العقيدة السَلَفية ص ٩٨ - ١٠٦ ، ولقد ذكر اعتراضات أخرى ، لكننا اكتفينا بذكر ما هو متصل بموضوع الوحى .

بالأصوات وخفيات الضمير يسمى سمعاً ، وخفيات الضمير عنده تسمى كلاماً ، فيجوز سماع ما ليس بصوت إلا أنه لا يقول بسماع كلام الله عند قراءة القارىء [1] .

ومعنى هذا أن الماتريدى فصل بين كلام الله وصفاته ، وبين كلام المخلوقين وصفاتهم ، فلو جاز سماع ما ليس بصوت فى كلام البَشر ، فإنه لا يصح ذلك فى كلام الله .

وعن القول بأن كلام الله معنى قائم ، يعنى أن المَلَك فهم معنى مجرداً ، ثم أحدث المَلَك القرآن نظماً .

نجد لدى الماتريدى رداً على هذا فى معارضته لقول الباطنية أن القرآن نزل على قلب النبى كالخيال ، ويقول الماتريدي : إن الله أنزل هذا القرآن مؤلَّفاً منظوماً على رسول الله ﷺ ، ولم يكن التأليف من فعله ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ ﴾ [2] ، لأن التأليف لو كان من فعله عليه السلام لكان لا يؤخذ منه تحريك اللسان وقت ما نزل عليه لأنه إذا كان كالخيال فهو يحتاج إلى أن يُصوِّره فى قلبه ، ثم يصل إلى التأليف بعد التصوير ويتأتى له العبارة باللسان ، وإنما يقع التحريك من مؤلف منظم يثبت أنه أنزل هذا مؤلَّفاً منظوماً [3] .

فالماتريدى يثبت أن النظم من فعل الله أنزله على رسوله ، وليس هذا النظم من فعل مخلوق كالمَلَك أو النبى نفسه .

ولقد رد المتكلمون على الاعتراضات التى أثارها المنكرون للنبوة على الوحى .

ويورد الباقلانى اعتراضاتهم على الوحى ، والتى تقول بأن الله ليس ممن يُدرَك بالأبصار ويُشاهَد بالحواس ، فيتولى مخاطبة الرسول بنفسه من حيث يراه ويعلمه مخاطباً له حسب الرائين للآخر ، وإنما يدَّعى الرسول العلم بالوسالة من ناحية

---

(١) أبو المعين النسفى : تبصرة الأدلة ص ١٨٢ (٢) القيامة : ١٦

(٣) الماتريدى ، تأويلات أهل السُّنَّة : ٣/٢٣٦ ، ٢٣٧

صوت يسمعه أو كتاب يسقط إليه ، أو سماع شخص ماثل بين يديه يدَّعى أنه بعض ملائكة ربه ، كالذي ادعاه موسى بأن كلمه وهو لم يره ، فلعل هذا الصوت ومكلمه بعض الملائكة أو الجن أو مستتر عنه من الإنس ، ولعل الذى ادعاه الرسول بأن الذى هو مَلَك مقرَّب هو عفريت عند ربه ، فهو أبعد الأمور من أن يعلم أن ذلك الكتاب ليس من عمل البَشر ونظمهم .

وهذه الاعتراضات تقوم على استحالة اتصال الجسمانى بالروحانى وهم يعتمدون على الاتصال فى الشاهد الذى يقوم على المشاهدة الحسية .

ويرد الباقلانى على كافة تلك الاعتراضات بالقول بأن كل مَن تولى الله تعالى خطابه بلا واسطة ولا ترجمان يعلم أن خالق العالَم هو المتولى خطابه من وجوه:

الأول : أن كلام الله سبحانه الذى يخاطب به مَن يشاء مِن خلقه ليس من جنس كلام الآدميين ، والباقلانى هنا يقصد الكلام النفسى الذى هو خلاف الكلام المشاهَد المكون من ألفاظ وحروف ، وأن الذى يسمعه الرسول هو هذا الكلام النفسى القديم .

والثانى : لو كان ما سمعه الرسول من جنس كلام الآدميين لكان الله سبحانه قادراً على أن يضطره إلى العلم بأنه هو المكلِّم وأن الكلام الذى سمعه كلام له .

والثالث : إمكان أن يُعلم الله سبحانه الرسول أنه هو المتولى لخطابه بأن يقول: « أنا الله الذى لا إله إلا أنا ، وآية ذلك أننى أقلب الجماد حيواناً » ، فيعلم الرسول أن المتولى لخطابه هو محدث الآيات ومبدع المعجزات ، وذلك لأن الخلق لا قدرة لهم على ذلك ، أى أن الباقلانى يستدل بالمعجزات على صدق الرسل ، وعلى ثقتهم بأن مصدر الوحى هو الله .

الرابع : يتبين الرسول من البَشر أن المنزَّل عليه بالرسالة مَلَك من عند ربه ، وذلك بأن الخطاب الذى أداه إليه متضمناً علم الغيوب ، بأن يظهر معه من الآيات مثل الذى ظهر على أيدى الرسل عند الأداء إلى أمثالهم من البَشر فيعلم أن الذى ظهرت على يديه هذه الأمور ليس بساحر ولا شيطان .

أما الكتاب الذى يسقط من السماء فلا بد أن تكون معه آية تظهر على يد مَلَك [1] .

ويلاحظ اعتماد الباقلانى فى ردوده على التفرقة بين كلام الله سبحانه وتعالى وكلام البَشر ، بحيث يمكن للرسول سماع الكلام الإلَهى - وبدون شروط الكلام الإنسانى - ثم الاعتماد على صدق الرسول بأن المتولى خطابه هو الله سبحانه على المعجزة التى يؤيده الله بها ، فهى دليل على صدقه وأنه مرسَل من الله تعالى .

ويمكن أن نوجز موقف المتكلمين من الوحى فى النقاط التالية :

أولاً : التزم المتكلمون بالمعنى اللُّغوى والمعنى الشرعى للوحى .

ثانياً : الوحى لا يأتى النبى وهو فى حالته العادية البَشرية ، فلا بد من استعداد معيَّن لتلقى الوحى ، وهذا الاستعداد خاص بوقت نزول الوحى ، وهو اكتساب صفة الملائكية ، أو قد يكون بصورة أخرى وهى نزول المَلَك بصورة بَشرية لكن لدى النبى القدرة على تمييزه ومعرفته .

ولعل هذا يمثل جانباً نفسياً للنبى يجعله متلقياً للوحى وواثقاً من أنه يتلقى عن الله وحيه عن طريق مَلَك ، فهو يعلم مصدر ذلك الوحى - لكن ذلك لا يُخرجه عن بَشريته .

ثالثاً : الربط بين الوحى ومسألة الكلام الإلَهى ، من حيث أن الكلام الإلَهى هو مادة الوحى ومضمونه - ولقد كانت هوة الخلاف عميقة بين المتكلمين فى مسألة الكلام الإلَهى ومشكلة خلق القرآن ، لكن ضاقت تلك الهوة أو كادت تتلاشى فى موقف المتكلمين من أن القرآن كلام الله تعالى أنزله على نبيه ﷺ عن طريق جبريل منظَّماً ومنجَّماً ، ولم ينزل بمعناه وألَّفه ونظمه النبى ، فلم يؤثر الخلاف فى كون كلامه تعالى قديماً أم محدَثاً ، فى أن لله تعالى كلاماً وأن القرآن كلامه المنزَّل على النبى .

---

(١) الباقلانى : التمهيد ص ١٠٨ - ١١٢

رابعاً : ارتبطت مشكلة رؤية الله تعالى على نحو من الأنحاء بمسألة إمكان سماع النبى لكلام الله تعالى بواسطة أم بغير وسطة .

فنجد المعتزلة قد قالوا بعدم إمكان سماع النبى للكلام الإلَهى بلا واسطة ، وذلك لأن الله تعالى لا يُرَى ، بينما قال الأشاعرة بإمكان سماع النبى للكلام الإلَهى بلا واسطة ، لأنه تعالى يُرَى ، وإن كان الماتريدى قد خالفهم فى ذلك مع قوله برؤية الله تعالى ، ولقد كان هذا الخلاف خاصاً بسماع موسى لكلامه تعالى .

خامساً : لا نجد مصادر غريبة عند المتكلمين فى تفسير الوحى وكيفية نزوله ، فذكروا الطرق التى ذكرت فى القرآن والسُّنَّة ، وقالوا بالحالات المصاحبة لنزول الوحى ، والتى كانت تعترى النبى عند نزول الوحى ، ولقد وردت تلك الحالات فى كتب السيرة والحديث ، فهم قد التزموا في ذلك بما جاء به الشرع ، ولا نجد لديهم أقوالاً على النحو الذى قالت به الفلاسفة فى تفسير الوحى على النحو الذى سنعرض له فيما بعد .

❊ ❊ ❊

٦ - الوحى عند الفلاسفة

وإذا انتقلنا إلى موقف الفلاسفة الإسلاميين من الوحى ، فإنه يمكن القول إننا يمكن أن نستخلص موقفهم من خلال محاولتهم للتوفيق بين الدين والفلسفة ، فالوحى يمثل أحد طريقين للاتصال بالعقل الفعَّال ، فالوحى يمثل اتصال النفوس الناطقة البَشرية بعقول الأفلاك .

والنفس الإنسانية لها استعداد لقبول المعقولات بالفعل ، فالنفس إذا حصل لها تجرد عن البدن - إما بالنوم ، وإما بالرياضة ، وإما بقوتها فى نفسها - اتصلت بالنفس الفلكية وانتقش فيها ما فى النفس الفلكية من العلم بالحوادث الأرضية ،

ثم ذلك العلم العقلى قد تجريه النفس مجرداً ، وقد تصوِّره القوة المخيلة فى صور مناسبة له ، ثم تلك الصور تنتقش فى الحس المشترك ، كما أنه إذا أحس أشياء بالظاهر ثم تخيلها فإنها تنتقش فى الحس المشترك ، فالحس المشترك يرتسم فيه ما يوجد من الحواس الظاهرة وينتقش فيه ما تصوِّره القوة المتخيلة فى الباطن ، وما يراه الإنسان فى منامه ، والمحرور فى حالة مرضه من الصور الباطنة هو من هذا ، لكن نفس النبى عليه السلام لها قوة كاملة فيحصل لها تجرد فى اليقظة فتعلم وتخيل وترى ما يحصل لغيرها فى النوم (١) .

فالنبى بذلك له قوة معينة تمكنه من الاتصال بالعقل الفعَّال ، ويُفصِّل الفارابى القول فى إمكانية النبى الاتصال بالعقل الفعَّال .

ويمكن أن نوجز رأى الفارابى فى اتصال النبى بالعقل الفعَّال ، فهو يرى أن هناك طريقان للاتصال بالعقل الفعَّال .

الطريق الأول هو طريق الفيلسوف ، وهو طريق البحث والدراسة والنظر والتأمل ، وبفضل التأملات العقلية ، يستطيع الإنسان أن يصعد إلى منزلة العقول العشرة ، ويترقى إلى درجة العقل المستفاد ، وحيث يتقبل الأنوار الإلَهية .

إلا أنه ليست كل النفوس قادرة على ذلك الاتصال ، إنما هذه الدرجة خاصة بالأرواح القدسية ، التى تستطيع أن تخترق حُجُب الغيب ، وتدرك عالَم النور ، ولا يستغرقها الحس ، وقد يتعدى تأثيرها من بدنها إلى أجسام العالَم وما فيه ، وتقبل المعلومات من الروح والملائكة بلا تعليم من الناس ، فهذه درجة الحكيم الذى بوسعه الاتصال بالعقل الفعَّال .

الطريق الثانى للاتصال بالعقل الفعَّال ، فهو طريق النبى ، وهو طريق المخيلة ، الذى عن طريقها يكون الاتصال بالعقل الفعَّال ، والوحى الذى ينزل على الأنبياء ، هو أثر من آثار المخيلة .

---

(١) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص ٤٧٥

ويقول الفارابى شارحاً ذلك الطريق : « إن القوة المتخيلة إذا كانت فى إنسان ما قوية كاملة جداً ، وكانت المحسوسات الواردة عليها من خارج لا تستولى عليها استيلاءً يستغرقها بأسرها ولا يستخدمها للقوة الناطقة ، بل كان فيها مع إشغال بهذين فضل كثير تفعل به أيضاً أفعالها التى تخصها ، وكانت حالها عند اشتغالها بهذين فى وقت اليقظة مثل حالها عند تحللها منها فى وقت النوم ، وكثير من هذه التى يعطيها العقل الفعَّال ، فتتخيلها القوة المتخيلة بما تحاكيها من المحسوسات المرئية ، فإن تلك المخيلة تعود فترتسم فى القوة الحاسة ، فإذا حصلت رسومها فى الحاسة المشتركة انفعلت عن تلك الرسوم القوة الباهرة ، فارتسمت فيها تلك فيحصل عما فى القوة الباصرة منها رسوم تلك فى الهواء المضىء المواصل للبصر المنجاز بشعاع البصر ، فإذا حصلت تلك الرسوم فى الهواء عادماً فى الهواء فترتسم من رأس فى القوة الباصرة التى فى العين ، وينعكس ذلك إلى الحاس المشترك وإلى القوة المتخيلة لأن هذه كلها متصلة بعضها ببعض ، فيصير ما أعطاه العقل الفعَّال من ذلك مرئياً لهذا الإنسان ، فإذا اتفقت التى حاكت بها القوة المتخيلة تلك الأشياء محسوسات فى نهاية الجمال والكمال ، قال الذى يرى : إن لله عظمة جليلة عجيبة ، ورأى أشياء عجيبة لا يمكن وجود شىء منها فى سائر الموجودات أصلاً ، ولا يمتنع أن يكون الإنسان إذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال فيقبل فى يقظته عن العقل الفعَّال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة أو محاكياتها من المحسوسات ، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها، فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الإلَهية ، فهذا أكمل المراتب التى تنتهى إليها القوة المتخيلة ، وأكمل المراتب التى يبلغها الإنسان بقوته المتخيلة»(١).

وعلى هذا فإن فى مقدور المخيلة أن تصعد إلى العقل الفعَّال وأن تتلقى عنه الحقائق ، وذلك عن طريق الوحى ، أو الرؤيا الصادقة ، وهذا الاتصال يكون للأنبياء فى حال اليقظة ، وحال النوم .

---

(١) الفارابى : آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٦٦ - ٧٤

لكن هذا ليس أمراً ميسوراً لكل الناس ، لذا فإن الفارابى يذكر تفاوت الناس فى الاتصال عن طريق المخيلة ، فهناك مِنَ الناس مَنْ لديهم قوة فى المخيلة ، يستطيعون الاتصال بالعقل الفعَّال ، لكن هؤلاء دون الأنبياء ، إذ أن اتصالهم يكون فى المنام فقط ، أما الأنبياء ففى حالة اليقظة والنوم .

ودون هؤلاء يكون العامة ، وهم ضعيفو المخيلة ليست لديهم القدرة على الاتصال بالعقل الفعَّال .

ولقد وُجِّهت عدة انتقادات لنظرية النبوة عند الفارابى من حيث أنه جعلها تُنَال بالجهد والاكتساب الإنسانى عن طريق النظر والتأمل ، وليست منَّة من الله على بعض عباده ، الذين يختارهم لرسالته ، دون أن يكون لعلمهم واكتسابهم دور فى ذلك .

وأيضاً جَعْلُه النبى فى منزلة دون منزلة الفيلسوف ، إذ أن طريق النبى هو المخيلة ، وطريق الفيلسوف العقل ، وطريق العقل أكثر دقة ويقيناً من المخيلة .

وأيضاً تفسيره للوحى على أساس سيكولوچى ، يتعارض مع ما ورد بخصوص الوحى فى الآيات القرآنية ، وغير ذلك من الاعتراضات [١] .

لكن الذى يخفف من حدة هذا النقد ، هو قول الفارابى أن كلا من الفيلسوف والنبى ينهل من معين واحد ، هو العقل الفعَّال ، ويذكر ذلك فى حديثه عن صفات رئيس المدينة الفاضلة الذى يكون إنساناً قد استكمل فصار عقلاً ومعقولاً بالفعل ، وقد استكملت قوته المتخيلة .... فيكون ما يفيض من الله تبارك وتعالى إلى العقل الفعَّال يفيضه العقل الفعَّال إلى عقله المنفعل بتوسط العقل المستفاد ، ثم إلى قوته المتخيلة ، فيكون بما يفيض منه إلى عقله المنفعل حكيماً فيلسوفاً ومتعقلاً على التمام ، وبما يفيض منه نبياً إلى قوته المتخيلة فينا ، منذراً بما سيكون ومخبراً بما هو الآن من الجزئيات بوجود يعقل فيه الإلَهى [٢] .

---

(١) الدكتور إبراهيم مدكور : فى الفلسفة الإسلامية .. منهج وتطبيقه : ١/ ٩٦ وما بعدها.
(٢) الفارابى : آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٨٤ - ٨٥

ولا يبعد موقف ابن سينا عن موقف الفارابى كثيراً ، فلقد تأثر به إلى حد بعيد ، فلقد استوحى الأصول الأولية لنظريته عن النبوة من أستاذه الفارابى متأثراً بتنظيراته العقلية لها ، مضيفاً إليها أحكامه النقلية والعقائدية ، ولقد حاول ابن سينا فى تبنيه للنظرية الفارابية أن يشتق من خلالها بعض اتجاهات خاصة تتعلق بالنبى وواجباته ، وبالوحى ودلالته [١] .

ويرى ابن سينا - كما رأى الفارابى من قبل - أن النفس الإنسانية لديها استعداد للوصول إلى العقل الفعَّال ، إما عن طريق العقل ، وإما عن طريق المخيلة .

وهناك أشخاص تستطيع عن طريق المخيلة أثناء النوم أن تصعد إلى العالم العلوى ، حيث تنتقش الأحداث الماضية والحاضرة والمستقبل فى اللوح المحفوظ ، فإذا أدركوا هذا أثناء النوم عن طريق مخيلتهم ، فيحلمون بأشياء كأنها حقائق ملموسة .

وهناك آخرون عظمت نفوسهم وقويت مخيلتهم ، فأدركوا ما فى عالَم الغيب فى حال اليقظة كما يدركونه فى حال النوم ، وهؤلاء هم الأنبياء الواصلون إلى مرتبة النور والعرفان .

ويقول ابن سينا : « التجربة والقياس متطابقان على أن النفس الإنسانية إن تنال من الغيب نيلاً ما فى حال المنام ، فلا مانع من أن يقع مثل ذلك النيل فى حال اليقظة إلا ما كان إلى زواله سبيل ولارتفاعه إمكان ، أما التجربة والتسامع والتعارف فيشهدان به - وليس أحد من الناس إلا وقد جرَّب ذلك فى نفسه تجارب ألهمته التصديق - اللَّهم إلا أن يكون أحدهم فاسد المزاج ناثم قوى التخيل والتذكر - وأما القياس فاستبصر فيه من تنبيهات .

---

(١) الدكتور جعفر آل ياسين : فيلسوف عالم ، دراسة تحليلية لحياة ابن سينا وفكره الفلسفى ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ولقد سبق أن أشرنا إلى رأى ابن سينا فى واجبات النبى .

« تنبيه : قد علمت فيما سَلَف أن الجزئيات منقوشة فى العالَم العقلى نقشاً على وجه كُلِّى ، ثم قد نبهت لأن الأجرام السماوية لها نفوس ذوات إدراكات جزئية وإرادات جزئية تصدر عن رأى جزئى ، ولا مانع لها عن تصور اللوازم الجزئية لحركاتها الجزئية من الكائنات عنها فى العالَم العنصرى » .

« إشارة : ولنفسك أن تنتقش بنقش ذلك العالَم بحسب الاستعداد وزوال الحائل ، قد علمت ذلك فلا تستنكر أن يكون بعض الغيب ينتقش فيها من عالمه » .

فالحقائق منقوشة فى العالَم العلوى وكل مَن اتصل به أدركها .

أما كيفية الاتصال فيتابع ابن سينا قول الفارابى ، من أن المخيلة مصدر الصور الباطنية ، وأنها إذا انصرفت عن شواغلها الحسية أو قلَّت أثناء النوم لا يبعد أن يكون لها فلتات تخلص بها إلى جانب القدس فينتقش فيها نقش من الغيب ، وإذا كانت النفس قوية الجواهر ، وتستطيع الاستيلاء على الشواغل المختلفة ، لم يبعد أن يقع لها هذا الخلس والانتهاز فى حال اليقظة .

وهذه القوة ربما تكون للنفس من حيث الفطرة ، وقد تحصل بضرب من الاكتساب .

والذى يقع له هذا من حيث الفطرة فهم الأنبياء [1] .

هناك إذن طريقان للاتصال : طريق الفيلسوف الذى يكتسبه عن طريق مداومة النظر والتأمل العقلى ، وطريق النبى الذى هو بالفطرة وعن طريق صفاء المخيلة وقوتها وشدتها ، وبُعْدها عما يشغلها سواء صلتها بالمشاغل الحسية أو تحللها من خدمتها للقوة الناطقة .

ويُفرِّق ابن سينا – كما سبقه إلى ذلك الفارابى – بين قوة المخيلة وضعفها عند

---

(١) الدكتور إبراهيم مدكور : فى الفلسفة الإسلامية : ١/ ١٠٠ – ١٠٣ ، ولقد نقلنا عنه كلام ابن سينا .

الناس ، فهى ليست واحدة عند الناس جميعاً ، فهى توجد بدرجات تتفاوت ضعفاً وقوة ، ولكنها تبلغ قوتها وكمالها عند النبى .

ويعلى ابن سينا من مكانة النبى وعلمه ، فهو عندما يتحدث عن لزوم المنطق بالنسبة للفطرة الإنسانية وضرورة دراسته ، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه فى استعمال الروية ، إلا أنه يستثنى من ذلك النبى المؤيَّد من عند الله ، يقول ابن سينا بعد ذكر فائدة المنطق مبيناً ضرورة دراسته لاستقامة فكر الإنسان : « ... فهذه فائدة صناعة المنطق ، ونسبتها إلى الروية نسبة النحو إلى الكلام والعروض إلى الشعر ، لكن الفطرة السليمة والذوق السليم ربما أغنيانا عن تعلم النحو والعروض ، وليس شىء من الفطر الإنسانية بمستغن فى استعمال الروية عن التقدم بإعداد هذه الآلة ، إلا أن يكون إنساناً مؤَّيداً من عند الله تعالى » (١) .

ولقد ذكر ابن تيمية أن الفلاسفة (ويقصد من بينهم ابن سينا) قد ذكروا أن الأنبياء يدركون الحد الأوسط فى القضية المنطقية بلا واسطة ولا معلم ، وقال على لسانهم : « النبى له قوة أقوى من قوة غيره فى العلم والعمل ، وربما سموها « قوة قدسية » ، وهو أن يكون بحيث ينال الحد الأوسط من غير تعليم معلم له ، فإذا تصور طرفى القضية أدرك بتلك القوة القدسية الحد الأوسط الذى قد يتعسر أو يتعذر على غير إدراكه بلا تعليم » (٢) .

ويقول ابن سينا : « فيمكن إذن أن يكون شخص من الناس مؤيَّد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادىء العقلية إلى أن يشتعل حدساً ، أعنى قبولها من العقل الفعَّال فى كل شىء ، وترتسم فيه الصور التى فى العقل الفعَّال ، إما دفعة وإما قريباً من دفعة ، ارتساماً لا تقليدياً ، بل بترتيب يشتمل على الحدود الوسطى ، فإن التقليديات فى الأمور التى إنما تعرف بأسبابها ليست يقينية عقلية ،

---

(١) ابن سينا : النجاة ص ٤٤ (٢) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص ٤٧٣

وهذا ضرب من النبوة ، بل أعلى قوى النبوة ، والأوْلى أن تسمى هذه القوى قدسية ، وهى أعلى مراتب القوة الإنسانية » (١) .

وعلى الرغم من معارضة ابن تيمية لهذا الرأى الذى ذكره عن الفلاسفة إلا أن فى هذا الرأى - وأيضاً ما سبق ذكره - ما يجعل من الأنبياء بَشراً لهم من القدرات والحدوس الذهنية وقوة المتخيلة ما يمكن أن يستغنى بها عن فرض كفاية علم المنطق لكل إنسان عاقل .

وقد تزداد قيمة هذا الرأى الذى يعلى من شأن النبى ، وذلك لأنه صادر من فيلسوف اهتم بالعقل وبالمنطق وأدرك فائدته وقيمته ، وهذا يعنى أن معرفة النبى تعلو المنطق وليست فى حاجة إلى تعلم أساليبه .

ولقد رأى بعض الباحثين المعاصرين أن ابن سينا يعلى من معرفة النبى ، وأنها أعلى مرتبة من معرفة الفيلسوف ، فقال : « فالنبى يتميز بأنه يمتلك عقلاً نقياً صافياً بطبيعته ، قادراً على الاتصال المباشر بالعقل الفعَّال . . . بينما الفيلسوف لا يمتلك هذا النقاء الخاص لاقتناص هذا الإشراق العميق بسهولة ويسر . . . .

ومن ثمة فإن النبى يتسلم معارفه دفعة واحدة عن طريق ما يسميه الأستاذ الرئيس بالعقل القدسى ، العقل الذى يقتنى الحقائق الكلية من العقل الأعلى إما بشكل مباشر ، أو بشكل غير مباشر ، وذلك عن طريق الحس المشترك والمخيلة التى تتميز بقدرتها على استعمال الأسلوب المجازى والرمزى فى التعبير عن حالة معينة، فيكون ذلك وحياً من الله إلى عبده يفيض عليه من العقل الفعَّال بوساطة «المَلَك»، وبصورة عرضية وليست ذاتية باعتبار أن الأنبياء قِلَّة مختارة من الناس ، وليس هم بقاعدة عامة يقاس عليها الوحى أو الإلهام ، أما الفيلسوف

---

(١) ابن سينا : النفس ص ٢٤٩ ، نقلاً عن مقدمة ميشال مروة لرسالة ابن سينا فى إثبات النبوات .

فمعرفته - مهما بلغت فى سموها - فإنها تتصف بكونها معرفة جزئية يتلو بعضها بعضاً بتنسيق منطقى ، وليست دفعة واحدة كما هى عليه حال الأنبياء » (١) .

وبعد هذا العرض الموجز لآراء كل من الفارابى وابن سينا فى الوحى ، يمكننا أن نلاحظ أن هذه الآراء تحاول التوفيق بين الدين والفلسفة ، وكان نتيجة لذلك أن أصبحت تلك الآراء فى جانب كبير بعيدة عن الفكرة الإسلامية الواضحة والتى قررها الدين .

فلقد حاول كل منهما أن يؤول بعض النصوص الدينية تأويلاً فلسفياً يبعد بها عن معناها الأصلى ، محاولين إقحام الآراء الفلسفية فى النص الدينى وشرحه وفقاً لمقتضيات تلك الآراء الفلسفية ، وهذا بعيد تماماً عن مرمى الدين ، كما أنه يسىء إلى الفلسفة ، ويكفى أن نشير فقط إلى تأويلات ابن سينا لآية النور فى ضوء نظرية العقول وذلك فى رسالته « إثبات النبوات » .

كذلك تفسيراتهم للوحى على أساس أنه طريق للاتصال بالعقل الفعَّال عن طريق المخيلة ، يعارض ما ورد بشأنه فى النصوص الدينية .

وفضلاً عن ذلك ، فإن الذى دعاهم إلى هذا القول هى محاولتهم التفرقة بين الفيلسوف والنبى من حيث طريقة الاتصال واختلافها بينهما ، فهم يريدون على الأقل أن يجعلوهما فى مرتبة واحدة - إن لم ينحازوا إلى جانب الفيلسوف- فكلاهما يأخذ عن العقل الفعَّال .

ووفقاً لهذا فقد فهموا الوحى وما ورد بشأنه من نصوص فى ضوء الفلسفة ، فأعطوا له معنىً فلسفياً بَعُدَ كثيراً عن معناه الشرعى .

ويُلاحَظ أيضاً أنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا كلية من دور الاكتساب فى النبوة ،

---

(١) الدكتور جعفر آل ياسين : فيلسوف عالم ص ٢٠٩ ، ولقد سبق أن أشرنا إلى نقد موقف الفارابى وأنه يعلى من شأن الفيلسوف .

فعلى الرغم من قولهم بأن المخيلة هى طريق النبى ، إلا أن دور المخيلة لا يخلو من الاكتساب ، وذلك من حيث قدرتها على التخلص من مشاغل الحس وارتباطاته ، فهو نوع من التجريد ، فهى صورة للحس المشترك الذى يقل عنها فى التجريد ، ويعلوها العقل الذى هو أكثر تجريداً .

المهم أنه فى هذه العمليات التجريدية تحتاج كل منها إلى نوع من الاكتساب والجهد لإتمام عملية التجريد .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يمكن القول أنه مهماً وردت على لسان الفارابى وابن سينا من عبارات تعلى من شأن النبى ، وأن معرفته موازية لمعرفة الفيلسوف ، أو أعلى منه وتتم دفعة واحدة ، إلا أنه لا يمكننا أن نتأكد من صدق ذلك طالما أن المخيلة مرتبة أدنى من العقل ، وأن معرفتها أقل ثقة من المعرفة العقلية .

ويُلاحَظ أنهم استبدلوا دور الملائكة بالعقول المجرَّدة والنفوس الفلكية ، وذلك ما يتفق مع فلسفتهم ونظرتهم إلى ترتيب العوالم سفليها وعلويها .

❊ ❊ ❊

٧ - الوحى عند المتصوفة

يتحدث الغزالى عن حقيقة النبوة ، فيتحدث عن أنواع الإدراكات ، وأن الإنسان ينتقل من طور الحس ، وفى هذا الطور يكون مدركاً للمدركات الحسية التى تأتى عن طريق الحواس ، ثم طور العقل ، ويدرك فى هذا الطور أموراً زائدة على عالَم المحسوسات لا يوجد منها شىء فى عالم الحس فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات ، وهناك طور آخر وراء العقل وهو طور النبوة حيث تنفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب ، وما سيكون فى المستقبل . . . وقد قرَّب الله تعالى ذلك على خلقه بأن أعطاهم أنموذجاً من خاصية النبوة وهو النائم ، إذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب إما صريحاً ، وإما فى كسوة مثال يكشف عنه التعبير ،

فالنبوة عبارة عن طور يصل فيها عين لها نور زائدة يظهر فى نورها الغيب وأمور لا يدركها العقل [١] .

ويُفرِّق الغزالى بين العلم الذى يحدث باكتساب ، وهو الذى يحصل باستدلال، والعلم الذى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل ويسمى إلهاماً .

وهذا العلم يحصل فى القلب بغير حيلة ولا دليل وتعلم واجتهاد ، ينقسم إلى ما لا يدرى الغير أنه كيف حصل له ومن أين حصل ؟ وإلى ما يطلع معه على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة المَلَك الملقى فى القلب ، والأول يسمى إلهاماً ونفثاً فى الروع ، والثانى يسمى وحياً يختص به الأنبياء ، والأول يختص به الأولياء والأصفياء ، أما علم الاستدلال فيختص به العلماء [٢] .

فعلوم الأنبياء والأولياء علوم إلهامية ، وليست علوماً تعليمية ، ولقد ذكر الغزالى مصادر هذين العلمين فقال : « فإذن للقلب بابان : باب مفتوح إلى عالَم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالَم الملائكة ، وباب مفتوح إلى الحواس الخمسة المتمسكة بعالَم المَلَك والشهادة ، وعالم الشهادة والمَلَك أيضاً يحاكى عالَم الملكوت نوعاً من المحاكاة ، فأما انفتاح القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك ، وأما انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علماً يقينياً بالتأمل فى عجائب الرؤيا واطلاع القلب فى النوم على ما سيكون فى المستقبل أو كان فى الماضى من غير اقتباس من جهة الحواس » [٣] .

ويُشبِّه الغزالى اطلاع القلب على ما فى اللوح المحفوظ ، بأن القلب مثل المرآة ، واللوح المحفوظ مثل المرآة أيضاً ، لأن فيه صورة كل موجود ، وإذا قابلت المرآة

---

(١) الغزالى : المنقذ من الضلال ص ٧٩ - ٨٠

(٢) الغزالى : إحياء علوم الدين : ٣/ ١٨

(٣) الغزالى : إحياء علوم الدين : ٣/ ٢١ ، وقد ذكر كثيراً من الآيات القرآنية التى تؤيد العلوم الإلهامية ، انظر ص ٢٣ وما بعدها .

بمرآة أخرى حلَّت صور ما فى إحداهما فى الأخرى ، وكذلك تظهر صور ما فى اللوح المحفوظ إلى القلب إذا كان فارغاً من شهوات الدنيا ، فإن كان مشغولاً بها كان عالَم الملكوت محجوباً عنه ، وإن كان فى حال النوم فارغاً من علائق الحواس طالع جواهر عالَم الملكوت ، وظهر فيه بعض الصور التى فى اللوح المحفوظ ، وإذا أغلق باب الحواس كان بعده الخيال ، لذلك يكون الذى يبصره تحت ستر القشر، وليس كالحق الصريح مكشوفاً ، فإذا مات - أى القلب - بموت صاحبه لم يبق خيال ولا حواس ، وفى ذلك الوقت يبصر بغير وهم وغير خيال ، ويقال له : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (١) .

إلا أن هذه الطاقة لا تنفتح بالنوم والموت فقط ، « بل تنفتح باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة وتخلَّص من يد الشهوة والغضب والأخلاق القبيحة والأعمال الرديئة » (٢) .

وعلى هذا يعمل الأنبياء والأولياء على جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها حتى تكون على استعداد لتلقى الفيض من الملأ الأعلى .

ويقول الدهلوى فى كتاب « حجة الله البالغة » فى بيان الملأ الأعلى : « اعلم أنه قد استفاض من الشرع أن لله تعالى عباداً هم أفاضل الملائكة ومقربو الحضرة ، لا يزالون يدعون لمن أصلح نفسه وهذبها وسعى فى إصلاح الناس ، فيكون دعاؤهم سبباً لنزول البركات عليه ، ويلعنون مَن عصى الله وسعى فى الفساد فيكون لعنهم سبباً فى وجود حسرة وندامة فى نفس العامل وإلهامات من صدور الملأ السافل أن يبغوه ويسيئوا إليه ، إما فى الدنيا أو بعد الموت ، ويكونون سفراء بين الله وبين عباده ، وأنهم يلهمون فى قلوب ابن آدم خيراً أى يكونون أسباباً لحدوث خواطر الخير فيهم بوجه من وجوه السببية، وأن لهم اجتماعات كيف شاء الله،

---

(١) سورة ق : ٢٢ (٢) الغزالى : كيمياء السعادة ص ١٢٥

وحيث شاء الله ، ويُعبَّر عنهم باعتبار ذلك الرفيق الأعلى والندى الأعلى والملأ الأعلى ، وأن لأرواح الأفاضل من الآدميين دخولاً فيهم ولحوقاً بهم .

والملائكة على ثلاثة أقسام :

قسم علم الحق أن نظام الخير يتوقف عليهم ، فخلق أجساماً نورية فنفخ فيها نفوساً كريمة .

وقسم اتفق حدوث مزاج فى النجارات اللطيفة من العناصر استوجبت فيضان نفوس مشاهقة شديدة الرفض للألواث البهيمية .

وقسم هم نفوس إنسانية قريبة المأخذ من الملأ الأعلى ، ما زالت تعمل أعمالاً منجية تفيد اللحوق بهم ، حتى طرحت عنها جلابيب أبدانها فانسلكت فى سلكهم وعُدَّت منهم .

وأفاضل الملأ الأعلى الذين هم القسم الأول تجتمع أنوارهم وتتداخل فيما بينهما عند الروح الذى وصفه النبى ﷺ بكثرة الوجوه والألسنة ، فتصير هنالك كشىء واحد وتسمى حظيرة القدس .

وربما حصل فى حظيرة القدس إجماع على إقامة حيلة لنجاة بنى آدم بتكميل أزلى خلق الله يومئذ وإمضاء أمره فى الناس ، فيوجب ذلك تمثل علوم فيها صلاح البَشر وهداهم فى قلبه وحياً ورؤيا وهتفاً وأن تتراى له وتكلمه شفاهاً .

وهذا أصل من أصول النبوة ، ويسمى إجماعهم المستمر بتأييد روح القدس ويثمر هناك بركات لم تُعهد فى العادة فتُسمى معجزات .

أما القسم الثانى ، قسم النفوس التى استوجب فيضانها حدوث مزاج معتدل فى بخارات لطيفة ، فإنهم دون الأوَّلين .

وكمال هذه النفوس أن تكون فارغة لانتظار ما يترشح من فوقها ، فإذا ترشح شىء بحسب استعداد القابل وتأثير الفاعل انبعثوا إلى ذلك الشىء ، كما تنبعث

الطيور والبهائم بالدعاوى الطبيعية ، فأثَّروا فى قلوب البَشر وغيرهم حتى تنقلب إرادتها وأحاديث نفوسها إلى ما يناسب الأمر المراد [١] .

وهناك تشابه وفروق بين الصوفية والفلاسفة فى الوحى ، فالوحى عند هؤلاء وأولئك إشراف من النفس الإنسانية على حقائق الكون المثبتة فى عالَم فوق عالَمنا .

لكن العالَم العلوى عند الفلاسفة عقول مجرَّدة ونفوس هى عقول الأفلاك ونفوسها وصور الأشياء منقوشة فيها بحكم أنها مصادر لها وأسباب لوجودها ، وبحكم أنها مجرَّدة بطبعها درَّاكة ، واتصال النفوس البَشرية بهذه النفوس المَلَكية هو اتصال روحى بطبعها بما أشرفت عليه من المعارف كمرآة تحاذى بها مرآة أخرى .

أما العالَم العالى عند الصوفية الذى يفيض منه الوحى والإلهام فهو أمران : لوح محفوظ كتب الله فيه على الوجه الذى أراده ما كان وما يكون ، وملائكة هم أجسام من نور ذوو نفوس كريمة لها على باقى اللوح اطلاع ، وهى أيضاً ألواح خُطَّت فيها صنوف من العلم الإلَهى .

وما الوحى إلا أن يتلقى النبى من المَلَك شرائع إلَهية ، مع شهود المَلَك وسماع خطابه ، إذ لا يجمع بين شهود المَلَك وسماع خطابه إلا الأنبياء ، وأما الولى فإن سمع صوتاً فإنه لا يرى صاحبه وإن رأى المَلَك فإنه لا يسمع له كلاماً [٢] .

وعلى كل فإن الصوفية وإن شابهوا الفلاسفة فى بعض الأُمور الخاصة بالوحى ، إلا أنهم كانوا أكثر التزاماً بالنصوص الدينية وأقل منهم تأويلاً .

واعتمد الصوفية على مجاهدة النفس ورياضتها ، والزهد والعزوف عن الدنيا ، حتى يحدث الذوق التى تقصر العبارة عنه .

❊ ❊ ❊

---

(١) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام ص ٧٥ ، ٧٦

(٢) مصطفى عبد الرازق : الدين والوحى والإسلام ص ٧٦ ، ولقد سبق أن أشرنا إلى رأى الغزالى فى التفرقة بين الوحى الخاص بالأنبياء والإلهام الخاص بالأولياء .

٨ - الوحى عند ابن خلدون

يقيم ابن خلدون نظريته فى الوحى على أساس ترتيب العوالم وتدرجها واتصالها بعضها ببعض وربط الأسباب بالمسببات .

ويقول ابن خلدون : « فالعالَم على هيئة من الترتيب والإحكام ، وربط الأسباب بالمسببات واتصال الأكوان بالأكوان ، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض » (١) .

ويبحث ابن خلدون فى عالم الحس المشاهَد ، فيرى اتصال بعضه ببعض ، فعالَم العناصر المشاهَدة كيف تدرج صاعداً من الأرض إلى الماء ثم إلى الهواء ثم إلى النار ، متصلاً بعضها ببعض ، وكل واحد منها لديه الاستعداد أن يصير إلى ما يليه صاعداً وهابطاً - والصاعد منها ألطف مما قبله إلى أن ينتهى إلى عالَم الأفلاك ، وهو ألطف من الكل اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها إلا الحركات فقط .

ثم نظر إلى عالَم التكوين ورأى أنه ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج .

وآخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش ، وما لا بذر له ، وآخر أفق النبات مثل النخيل متصل بأول أفق الحيوان ، مثل الحلزون والصدف ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط .

ويشرح ابن خلدون معنى الاتصال فى هذه المكونات ، فيذكر أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب لأن يعيد أول أفق الذى بعده .

ثم إن عالم الحيوان اتسع وتدرج وتعددت أنواعه ، وانتهى فى تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٨٨

وأيضاً أن اتصال العوالم بعضها ببعض يعنى أننا نجد فى العوالم على اختلافها آثاراً متنوعة ، ففى عالَم الحس آثار من حركات الأفلاك والعناصر ، وفى عالَم التكوين آثار من حركة النمو والإدراك تشهد كلها بأن لها مؤثراً مبايناً للأجسام فهو روحانى ، ويتصل بالمكونات لوجود اتصال هذا العالم فى وجودها ، ولذلك هو النفس المدركة والمحرِّكة ، ولا بد فوقها من وجود آخر يعطيها قوى الإدراك والحركة ، ويتصل بها أيضاً ويكون ذاته إدراكاً صرفاً وتعقلاً وهو محضاً عالم الملائكة فوجب من ذلك أن يكون للنفس استعداد للانسلاخ من البَشرية إلى المَلَكية، ليصير بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من الأوقات فى لمحة من اللمحات ، وذلك بعد أن تكمل ذاتها الروحانية بالفعل (١) .

هكذا يبين ابن خلدون وفقاً لرأيه فى ترتيب العوالم ، وأنها على اختلافها بها آثار متنوعة ، وهذا كله يؤدى ضرورة إلى أن يكون بالنفس البَشرية استعداد للانسلاخ من البَشرية إلى المَلَكية ، « فهى متصلة بالبدن من أسفل منها وتكتسب به المدارك الحسية التى تستعد بها للحصول على التعقل بالفعل ، ومتصلة من جهة الأعلى منها بأفق الملائكة ومكتسبة المدارك العلمية والغيبية » (٢) .

ويبحث ابن خلدون فى قوى النفس الإنسانية المختلفة ، ووظائف هذه القوى وتدرجها وارتقائها ، وذلك وفق نظريته العامة فى الارتقاء ، ويقسم قوى النفس وفقاً لآثارها الظاهرة إلى فاعلية ومدركة .

والفاعلية هى البطش باليد والمشى بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية بالبدن .

والمدركة فهى قوى الإدراك مرتبة ومرتقية إلى القوة العليا وهى المفكرة .

فهناك قوى الحس الباطن ، وأوله الحس المشترك وهو قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة وملموسة وغيرها فى حالة واحدة ، أى أنه يرى أن هذه القوة تؤلف بين المحسوسات المختلفة التى تأتى بها الحواس .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٨٩ (٢) المصدر السابق ص ٨٩

ثم يؤدى الحس المشترك إلى الخيال ، وهو قوة أكثر تجريداً من الحس .

ثم يرتقى الخيال إلى القوة الوهمية (الواهمة) ، والقوة الحافظة (الذاكرة) ، فالواهمة لإدراك المعانى المتعلقة بالشخصيات ، كعداوة زيد وصداقة عمرو ، ورحمة الأب متخيلة ، وهى لها كالخزانة تحفظها لوقت الحاجة إليها .

ثم ترتقى جميع هذه القوى إلى قوة الفكر ، وبها يتحقق الاتصال بالملأ الأعلى الروحانى ، وتصير فى أول مراتب الروحانيات فى إدراكها بغير الآلات الجسمانية ، فهى متحركة دائماً ومتوجهة نحو ذلك ، وقد تنسلخ بالكلية من البَشرية وروحانيتها إلى المَلَكية من الأفق الأعلى من غير اكتساب ، بل بما جعل الله فيها من الجبلة والفطرة الأولى فى ذلك [1] .

ويقسم ابن خلدون النفوس البَشرية من حيث قدرتها على الاتصال إلى ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : صنف عاجز بالطبع عن الوصول ، فينقطع بالحركة إلى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية ، وتركيب المعانى من الحافظة والواهمة على قوانين محصورة وترتيب خاص . ويستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية .

هذا القسم يغلب عليه الجانب الخيالى ، أو بعبارة أخرى لا يتجاوز القوة الخيالية - الواهمة والحافظة - إلا قليلاً : ولا يدرك من القوة الفكرية إلا بدايتها وهو حد الأوَّليات ، ولا يتجاوزها ، وهذا فى الأغلب نطاق الإدراك البَشرى الجسمانى ، ومن الغريب أن ابن خلدون يجعل ذلك ما تنتهى إليه مدارك العلماء وفيه ترسخ أقدامهم .

الصنف الثانى : متوجه بالحركة الفكرية نحو العقل الروحانى ، والإدراك الذى لا يفتقر إلى الآلات البدنية ، بما جعل فيه من الاستعداد لذلك .

هذا الصنف يتسع نطاق إدراكه عن الأوَّليات التى هى نطاق الإدراك الأول

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٩٠

البَشرى ، ويسرح فى فضاء المشاهدات الباطنية ، وهى وجدان كلها لا نطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها ، وهذه مدارك العلماء الأولياء أهل العلوم الدينية والمعارف الربانية .

الصنف الثالث : صنف متطور على الانسلاخ من البَشرية جملة - جسمانيتها وروحانيتها - إلى الملائكة من الأفق الأعلى ليصير فى لمحة من اللمحات مَلَكاً بالفعل ، ويحصل له شهود الملأ الأعلى فى أفقهم وسماع الكلام النفسانى والخطاب الإلَهى فى تلك اللمحة ، وهؤلاء هم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، جعل الله لهم الانسلاخ من البَشرية فى تلك اللمحة - وهى حالة الوحى - فطرة فطرهم الله عليها وجبلة صوَّرهم فيها ، ونزَّههم عن موانع البدن وعوائقه ، لأنهم متصلون به من جانب البَشرية وفى استطاعتهم الانسلاخ من الطبيعة البَشرية لاباكتساب ولا بصناعة ، ولكن بما فطرهم الله عليه ، وخصَّهم به ، من القدرة على الانسلاخ من البَشرية والترقى إلى الملائكية - وبذلك يمكنهم الاتصال بالملأ الأعلى وتلقى ما يتلقونه منه [1] .

ويتحدث ابن خلدون عن طرق الوحى ووصوله إلى النبى ، فيذكر أنه تارة يأتى الوحى بأن يسمع أحدهم دوياً كأنه رمز عن الكلام يأخذ منه المعنى الذى أُلقى إليه فلا ينقضى الدوى إلا وقد وعاه وفهمه .

وتارة يتمثل له المَلَك الذى يلقى إليه رجلاً ، فيكلمه ويعى ما يقوله ، والتلقى من المَلَك والرجوع إلى المدارك البَشرية وفهمه ما ألقى عليه كله كأنه فى لحظة واحدة ، بل أقرب من لمح البصر لأنه ليس فى زمان ، بل كلها تقع جميعاً فيظهر كأنها سريعة ، ولذلك سميت وحياً لأن الوحى لغة : الإسراع .

النوع الأول الذى يأتى كأنه دوى هو رتبة الأنبياء غير المرسلين .

أما النوع الثانى - وهو حالة تمثل المَلَك رجلاً يخاطب - هى رتبة الأنبياء المرسلين ، ولذلك كانت أكمل من الأول [2] .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٩٠ - ٩١ (٢) المصدر السابق ص ٩١

ويبدو أن هذه التفرقة على أساس أن الرسول هو مكلَّف بالتبليغ عن الله أوامره ونواهيه إلى الناس ، فلا بد من أن يتلقى البلاغ بلفظه وبعبارته ، ويُبَلِّغه أيضاً بلفظه وعبارته .

وحالة الوحى حالة صعبة وليست أمراً هيناً على النبى ، وذلك لأنها تقتضى مفارقة البَشرية إلى المدارك المَلَكية وتفارق الذات ذاتها ، وتنسلخ عن أُفقها إلى أُفق آخر ، وذلك كله يتطلب جهداً شاقاً .

إلا أن هذا الجهد الشاق يكون فى بداية الوحى ، وتخف حدَّته بالتدريج عن طريق الاعتياد ، الذى يؤدِّى شيئاً فشيئاً إلى السهولة بالقياس إلى ما قبله .

ولذلك كانت آيات القرآن وسوره التى تنزل على النبى عليه السلام فى مكة أقصر منها وهو فى المدينة ، وذلك لاعتياده الوحى ، فبينما كانت تنزل السورة فى مكة على فترات أو سورة قصيرة ، نرى فى المدينة تنزل السور الطوال ، وقد تنزل السورة فى مرة واحدة (١) .

وابن خلدون يرجع فى رأيه فى الوحى إلى رأى الفلاسفة والصوفية ، وأيضاً التزم بما ورد فى كتب السيرة والحديث بشأن كيفية نزول الوحى والصور المتعددة لنزوله .

* * *

٩ – الوحى عند الإمام محمد عبده

يُعرِّف الإمام الوحى ، فيذكر معناه اللُّغوى فيقول : « يقال : وحيت إليه وأوحيت ، إذا كَلَّمته بما تخفيه عن غيره ، والوحى مصدر من ذلك ، والمكتوب والرسالة وكل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه ، ثم غلب فيما يلقى للأنبياء من قِبَل الله ، وقيل : الوحى إعلام فى خفاء ، ويطلق ويراد به الوحى » .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٩٢

أما المعنى الشرعى فهو كلام الله المنزَّل على نبى من أنبيائه .

أما تعريف الإمام فيقول عنه : « أما نحن فنُعرِّفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه ، مع اليقين بأنه من الله بواسطة أو بغير واسطة ، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت » .

وتعريف الإمام يعنى إدراك النبى عن طريق الحدس المباشر ، وعلى اليقين ، وأن تستيقن نفسه بأن الوحى الذى يتلقاه من الله سواء أكان بواسطة أو بغير واسطة .

والثقة واليقين بأن مصدر الوحى هو الله ، هو الفرق بين الوحى والإلهام ، إذ أن اليقين بأن مصدره الله ليس شرطاً فى الإلهام .

ويقول فى ذلك الإمام مُفرِّقاً بين الوحى والإلهام : « ويُفرَّق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يُطلب على غير شعور منها من أين أتى ، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور » .

ويمكن القول بأن الفرق عند الإمام بين الوحى والإلهام ، ينحصر فى حدوث اليقين ، فكلاهما يعتمد على الوجدان ، لكن الوحى يجمع بين الوجدان واليقين ، بينما الإلهام يقف عند حد الوجدان .

وذلك لأن معرفة المصدر ضرورية فى الوحى ، وذلك لأنه ليس أمراً ذاتياً خاص بالنبى فحسب ، بل يتعداه ، إذ أن النبى مكلَّف بإبلاغ ذلك الوحى إلى الناس ، فلا بد من حدوث اليقين بأن مصدر الوحى هو الله .

على أن هذا لا يقلل من شهادة الوجدان وصدقها ، بل يجمع بين صدق الوجدان وحدوث اليقين .

ويدلل الإمام على إمكان حدوث الوحى ، وذلك على أساس تفاوت درجات العقول ، وذلك التفاوت ليس لتفاوت مراتب التعليم فقط ، بل لا بد معه من التفاوت فى الفِطَر التى لا دخل لاختيار الإنسان وكسبه .

وعلى هذا فإن هناك لبعض النفوس البَشرية من نقاء الجوهر الذى يحدث لها

بأصل الفطرة ، بأن يجعلها مستعدة بالفيض الإلَهى أن تتصل بالأفق الأعلى ، وتنتهى من الإنسانية إلى الذروة العليا ، وتشهد من أمر الله شهود العيان ما لم يصل غيرها إلى تعقله أو تحسسه بعض الدليل والبرهان وتتلقى عن العليم الحكيم ما يعلو وضوحاً على ما يتلقاه أحدنا عن أساتذة التعليم ، ثم تصدر عن ذلك العلم إلى تعليم ما علمت ودعوة الناس إلى ما حملت على إبلاغه إليهم ، وأن يكون ذلك سُنَّة الله فى كل أمة وفى كل زمان على حسب الحاجة [1] .

❊ ❊ ❊

١٠ - علاقة الوحى بالرؤيا

هناك علاقة بين الرؤيا والوحى ، وذلك لأن الإيمان بالوحى يؤدى إلى الاعتقاد بإمكان الاطلاع على عالَم الغيب ، وقد اتفق جمهرة المفكرين على أن هذا ميسور أثناء النوم ، كما أن ممكن أثناء اليقظة ، باتفاق فى الطبيعة والغاية ، وإن اختلفت الدرجة والوسيلة [2] .

(أ) تفسير الرؤيا :

ولقد اختلفت الاتجاهات فى تفسير الرؤيا ، فهناك الاتجاه الشرعى فى تفسيرها ، فمن رجال الشرع مَن أرجع صدقها إلى الله ، فهو يخلق فى قلب النائم أو فى حواسه الأشياء ، كما يخلقها فى اليقظان ، وهو سبحانه يفعل ما يشاء فلا يمنعه من ذلك نوم ولا غيره ، وربما يقع ذلك فى اليقظة كما يتراءى فى المنام .

ومنهم مَن ذهب إلى أن الإنسان الحساس هو غير هذا الجسم ، وأنه يخرج عن البدن فى حالة النوم ، فيشاهد العالَم ويرى الملكوت على حسب صفاته ، واستند

---

(١) محمد عبده : الأعمال الكاملة : ٣/ ٤١٤ - ٤١٦

(٢) الدكتور توفيق الطويل : الأحلام ص ٨٦ ، والمقصود بالرؤيا هنا الرؤية الصادقة ، وليست الرؤيا الكاذبة والتى هى أضغاث أحلام .

هؤلاء وغيرهم ممن ذهب إلى نحو هذا المعنى بقوله تعالى : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا . . . ﴾ (١) .

ومن رجال الشرع مَن حاول تفسير صدقها عقلياً ، فقال : إنها تقع للمرء وهو نائم ذاهل العقل والحس معاً ، إلا أن النائم وإن ذهب عقله الذى به يتعقل ويفهم ، وحسه الذى به يدرك صور المحسوسات ، فإن نفسه تكون يقظة متنبهة ، تقوى على التعقل والتفهم ، وتقوم مقام الحواس من سمع وبصر ولمس ونحوه ، فى نقل آثار الجزئيات ، ذلك أن روح النائم تسرح فى الدنيا ، وتمتد منبسطة خارج الجسد ، وإن لبث جزء منها على اتصال به ، فتدرك فى النوم مكنونات الغيب المحجب (٢) .

ولقد قال أهل الحديث إن الرؤيا نوعان : رؤيا صادقة صحيحة ، وقد يكون من الرؤيا ما هو أضغاث أحلام (٣) .

❊ ❊

● اتجاه المتكلمين :

ولقد ذكر الأشعرى الاختلاف فى الرؤيا على عدة أقاويل هى :

١ - زعم « النظام » ومَن قال بقوله ، أن الرؤيا خواطر مثل ما يخطر للبصر ، وما أشبهها ببالك فتمثلها وقد رأيتها .

٢ - وقال « معمر » : الرؤيا من فعل الطبائع ، وليس من قِبَل الله .

٣ - وقالت « السوفسطائية » : سبيل ما يراه النائم فى نومه كسبيل ما يراه اليقظان فى يقظته ، وكل ذلك على الخيلولة والحسبان .

---

(١) الزمر : ٤٢ (٢) الدكتور توفيق الطويل : الأحلام ص ٨٧

(٣) الأشعرى : مقالات الإسلاميين : ٢/ ١٢١

٤ - وقال « صالح قبة » ومَن قال بقوله : الرؤيا حق ، وما يراه النائم فى نومه صحيح ، كما أن ما يراه اليقظان فى يقظته صحيح ، فإذا رأى الإنسان فى المنام كأنه بإفريقيا وهو ببغداد ، فقد اخترعه الله سبحانه بإفريقيا فى ذلك الوقت .

٥ - وقال بعض المعتزلة : الرؤيا على ثلاثة أنحاء : منها ما هو من قِبَل الله كنحو ما يُحذِّر الله سبحانه الإنسان فى منامه من الشر ويُرغِّبه فى الخير ، ونحو منها من قِبَل الإنسان ، ونحو منها من قِبَل حديث النفس والفكر ، لفكر الإنسان فى منامه فإذا انتبه فكر فيه ، فكأنه شىء قد رآه (١) .

ويبدو أن هذا الاتجاه يركز على طبيعة الرؤيا من حيث صلتها بأثر المحسوسات الخارجية السابقة فى الأحلام ، وذلك أن القائم تحدث فى مخيلته آثار تلك المحسوسات التى تبقى آثارها بعد زوال الحس ، وأثناء النوم .

وهذه الآثار كما أن منها ما هو راجع إلى أثر المحسوسات الخارجية ، فإن منها ما هو راجع إلى حديث النفس ، أى إلى ما يمكن أن نسميه « رغبات النفس المكبوتة » بلغة علم النفس الحديث ، فهذه الرغبات التى لم تجد لها طريقاً فى التحقق فى الواقع ، قد تجد لها طريقاً آخر للتحقق أثناء النوم .

وهذه الأقوال كما أن لها صلة بأقوال علم النفس الحديث ، فإن لها صلة برأى « أرسطو » فى الأحلام الذى سنعرض له عند الحديث عن اتجاه الفلاسفة الذين تأثروا كثيراً برأيه .

* *

● اتجاه المتصوِّفة :

يرى المتصوِّفة القائلون بوحدة الوجود ، أن اتصال العبد بالله تعالى لا يتم إلا بعد إفناء الحواس ، التى تعوق الاتصال ، فلا اتصال للعبد بالله مع وجود الإثنينية ، فلا بد من إفنائها أولاً ، وعندئذ لا يهبط الوحى من كائن أعلى مستقل

---

(١) الأشعرى : مقالات الإسلامين : ٢/ ١٢٠ - ١٢١

عن الإنسان ، إنما ينبع من نفسه ، فالحقيقة واحدة والوجود واحد ، فالوحى أو الرؤيا للنفس ليست شيئاً يهبط عليها من خارج بل من ذاتها ، أى من باطن النفس .

وما نراه من تعدد وكثرة ، مرجعه إلى آثار الحواس ، والعقل الذى يعجز عن إدراك الوحدة الذاتية للأشياء ، وقد ظهر الوجود الحق فى صورة الكبش فى منام إبراهيم الخليل ، كما ظهر فى صورة إسحاق ، وما ناب إلا عن نفسه ، وما فدى منها إلا بنفسه الظاهرة فى الصورة الكبشية ، وعلى هذا فوحى الرؤيا لا يهبط من خارج ، وإنما يصدر بهذا المعنى من باطن النفس (١) .

أما الاتجاه الإشراقى فى التصوف والذى يمثله السهروردى وأتباعه ، فإنهم يرون أن النفس آية من عالم المجردات والمعقولات ، فهى تستطيع إدراك المدركات المجردة التى تكون من جنسها ، وذلك إذا تخلَّصت من العوائق والشواغل البدنية ، فالإنسان إذا قلَّت شواغل حواسه الظاهرة ، إما بسبب النوم ، أو بسبب تعطلها لضعفها ، أو فى حالة مجاهدته ورياضته للارتفاع بنفسه عن كدورات الحس ، فإنه قد يصل إلى الاطلاع على أمور غيبية .

وبالنسبة للأنبياء فإن لنفوسهم قوة فطرية ، وهذه القوة تمكنهم من الاتصال بالعلم العلوى ، مع اشتغالهم بالبدن . وذلك لأنهم يستطيعون اكتشاف العلم الغيبى فى حالة اليقظة .

فالنفس الإنسانية لها اتصال بالنفوس الفلكية ، ومشاهدة صوراً كلية وتنطبع هذه الصور إن كانت ثابتة فى المتخيلة التى تجعل منها صوراً جزئية تناسب الحس وتحيلها على الخيال فتنطبع فيه ، وتنتقل هذه الصور الجزئية من الخيال إلى الحس المشترك فتصبح كأنها ماثلة للحس الخارجى فتشاهد - أى تدرك - كما لو كانت موضوعاً للإدراك الحسى الخارجى .

---

(١) دكتور توفيق الطويل : الأحلام ص ٨٨

ولكن ما هو معيار الصدق والكذب فى الرؤيا ؟

*** فى حالة صدق الرؤيا :**

(أ) حالة التناسب اليقينى : وفيها تكون الصورة الجزئية المشاهَدة بعد العمليات السالفة شديدة الشبه والمناسبة بالمعنى الكلى الذى شاهدته النفس منتقشاً فى عالَم الأفلاك ، وفى هذه الحالة نرى أن الرؤيا تكون قوية غنية عن التعبير .

(ب) التناسب الظنى : وأما إذا كان هناك نوع من المناسبة بين الكلى والمرئى والصورة الجزئية المشاهَدة ، أى عدم انطباق الصورة الكلية على الصورة الجزئية تماماً ، كما إذا رأت النفس عدواً وحاكته المتخيلة بحية أو ذئب ، أو رأت مَلَكاً وحاكته بجبل عظيم ، وفى هذه الحالة تكون الرؤيا صحيحة لكنها تقتضى التأويل لإدراك حقيقة المناسبة بين الصور الخيالية والمعنى الأصلى .

*** حالة كذب الرؤيا :**

لا تكون هناك أى مناسبة بين المعانى الكلية وبين الصور الخيالية الجزئية ، فإن هذه الرؤيا تكون من قبيل أضغاث الأحلام (١) .

* *

● اتجاه الفلاسفة :

لقد كان لنظرية أرسطو فى الأحلام دوراً هاماً عند فلاسفة الإسلام ، ولذلك لا بد من الإشارة إليها بإيجاز عند الحديث عن رأى الفلاسفة لأنها تمثل مصدراً مهماً لرأيهم .

يرى « أرسطو » أن النوم هو فقد الإحساس ، وأن الحلم صورة ناتجة عن المخيلة التى تعظم قوتها أثناء النوم على أثر تخلصها من أعمال اليقظة .

---

(١) دكتور محمد على أبو ريان : أصول الفلسفة الإشراقية عند السهروردى ص ٣٤٥ - ٣٥٠ .

والحواس تُحدث فينا آثاراً تبقى بعد زوال الأشياء المُحسَّة ، فإذا ما جاوزنا الشمس إلى الظل قضينا لحظة ونحن لا نرى شيئاً ، لأن أثر ضوء الشمس على العينين لا يزال باقياً .

وعلى هذا فالآثار الخارجية تعطينا فكرة مقرَّبة عن آثارها الداخلية التى تحتفظ بها المخيلة وتبرزها عند الظروف المناسبة .

فالأحلام إذن إحساسات سابقة ، وأيضاً الإحساسات العضوية أثناء النوم قد تؤثر فى الأحلام كذلك ، فيحلم الإنسان بالرعد مثلاً إذا صاح صائح أو ديك بالقرب منه .

وليست الإحساسات وحدها هى التى تؤثر فى الأحلام ، فإن الميول والعواطف لها دخل كبير فيها ، فالمحب يحلم بما يتفق وحبه ، والخائف يرى فى نومه عوامل خوفه ويعمل على اتقائها ، وكثيراً ما نحلم بأشياء رغبت فيها نفوسنا أو فكَّرنا فيها طويلاً [1] .

تأثر الفارابى بآراء أرسطو فى الأحلام إلى حد كبير ، ولقد ذكر الفارابى أن القوة المتخيلة هى المتوسطة بين القوة الحاسة وبين القوة الناطقة ، والقوة المتخيلة تكون منفعلة ومشغولة بما تورده الحواس عليها من المحسوسات وترسمه فيها ، وأيضاً تكون مشغولة بخدمة القوة الناطقة .

وفى حالة النوم تنفرد القوة المخيلة بنفسها وتكون خالية من ورود المحسوسات وتتحلل من خدمة القوة الناطقة ، والقوة النزوعية ، وتعود إلى ما تجده عندها من رسوم المحسوسات محفوظة باقية فتفعل فيها بأن تركب بعضها إلى بعض وتفصل بعضها عن بعض ، ولها مع حفظها رسوم المحسوسات وتركيب بعضها إلى بعض فعل ثالث وهو المحاكاة ، فإنها خاصة من بين سائر قوى النفس لها قدرة على محاكاة الأشياء المحسوسة التى تبقى محفوظة فيها .

---

(١) دكتور إبراهيم مدكور : فى الفلسفة الإسلامية ، منهج وتطبيقه : ١/ ٩٠ - ٩٣

فأحياناً تحاكى المحسوسات بالحواس الخمس بتركيب المحسوسات المحفوظة عندها المحاكية لتلك ، وأحياناً تحاكى المعقولات ، وأحياناً تحاكى القوة الغاذية ، وأحياناً تحاكى القوة النزوعية .

وتحاكى أيضاً ما يصادف البدن عليه من المزاج فإنها متى صادفت مزاج البدن رطباً حاكت الرطوبة بتركيب المحسوسات التى تحاكى الرطوبة مثل المياه والسباحة فيها ومتى كان مزاج البدن يابساً حاكت يبوسة البدن بالمحسوسات التى شأنها أن تحاكى بها اليبوسة (١) .

خلاصة القول أن الفارابى يقول - كما قال أرسطو من قبل - بأثر المحسوسات الخارجية علينا ، وبقاء ذلك الأثر فينا بعد زواله ، وهذه الآثار الخارجية تحتفظ بها المخيلة وتبرزها عند الظروف المناسبة .

كذلك يعتد الفارابى بالميول والعواطف ويثبت ما لها من أثر فى تكوين الأحلام وتشكيلها ، ويرى كذلك أن للطبائع والأمزجة دخلاً كبيراً فيها ، وكل تلك أفكار رددها أرسطو من قبل (٢) .

وعلى هذا ففى استطاعة المخيلة إذا تحررت من مشاغل الحس وتحللت من خدمة النفس الناطقة ، وخلت إلى نفسها ، أن تصعد أثناء النوم إلى سماء المعرفة واكتشاف حُجُب الغيب .

وأكمل المراتب التى تنتهى إليها القوة المتخيلة ، وأكمل المراتب التى يبلغها الإنسان بقوته المتخيلة الممتازة ، أن يرى فى اليقظة ما يراه فى النوم ، وأمكنه أن يتصل بالعقل الفعَّال فى اليقظة مثل اتصاله به فى النوم ، وهذه المرتبة هى خاصة بالأنبياء الذين لديهم مخيلة قوية وهم بالفطرة لديهم الاستعداد للوصول إلى هذه المرتبة .

---

(١) الفارابى : آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٦٨ وما بعدها .

(٢) دكتور إبراهيم مدكور : فى الفلسفة الإسلامية : ١/ ٩٥

ولقد ذكر ابن رشد أن من عناية الله بالإنسان أن يقع الإنذار فى الرؤيا ، إذ المقصود به أن يستعد المرء لملاقاة المستقبل ، ويتهيأ لدفع شره ، هكذا أشار يوسف على الملك بأن يستعد للسنين السبع المجدبة .

على أنه لا يبعد أن يقع الإنذار عن الماضى والحاضر متى كان مجهولاً لنا ، وهو أكثر ما يكون فى الأمور المستقبلية [1] .

❊ ❊

(ب) صلة الرؤيا بالوحى :

إن الصلة بين الرؤيا والوحى صلة قوية ، ويذهب البعض إلى أن الرؤيا هى بدء الوحى ومقدمته ، فلقد ذكر الماوردى تدرج أحوال النبى فى النبوة حتى علم أنه مبعوث ورسول مبلِّغ ، ولقد ترتب تدرجه على ستة أحوال انتقل من منزلة إلى منزلة حتى صار إلى أعلاها ، والذى يهمنا هو الإشارة إلى منزلة الرؤيا من بين هذه المنازل ، وهى تمثل المنزلة الأولى .

يقول الماوردى : « فالمنزلة الأولى : الرؤيا الصادقة فى منامه بما سيؤول إليه أمره ، فكان ذلك إذكاراً بها ليروض لها نفسه ويختبر فيها حواسه ، فيقوم بها إذا بُعِث وهو عليها قوى وبها علىّ » . . العلىّ هو السوى السالم .

ولقد روى الزهرى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة كانت تجىء مثل فلق الصبح حتى فجأه الحق » [2] .

ولقد ذكر ابن خلدون الروايات المتعددة لاعتبار الرؤية أحد أجزاء النبوة ، وليس المهم هو الأعداد التى ذكرت لأجزاء النبوة واختلفت فيها ، لكن المهم هو ثبوت أن الرؤيا أحد تلك الأجزاء ، وأنها من أوائل تلك الأجزاء [3] .

---

(١) دكتور توفيق الطويل : الأحلام ص ٩٠ (٢) الماوردى : أعلام النبوة ص ٢٥٩

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٩٥

وإذا كانت الرؤيا هى بداية النبوة ، لكن لا يجوز ادعاء النبوة من أول رؤيا ، وذلك لجواز أن يكون ذلك من حديث النفس ، وأن الرؤيا قد تصح تارة وتبطل أخرى ، فإن تكررت رؤياه مراراً ، حتى قطع بصحتها ، ولم يخالجه الشك فيها ، جاز أن يدَّعى بها النبوة فيما كان حفظاً لما تقدمها من شرع ، وبعثاً على العمل بها من بعيد (١) .

أى لا بد من تكرار الرؤيا مراراً وتكرار صدقها ، وذلك حتى يتثبت من صحتها وصدقها .

وإذا كانت الرؤيا هى بداية الوحى ، فهى أيضاً المظهر الباقى للنبوة بعد ختمها وانقضاء الوحى ، فلقد جاء عن النبى ﷺ أنه « لم يبق بعده من النبوة إلا المبشرات وهى الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرَى له » (٢) .

ولقد ذهب البعض إلى أن رؤيا الأنبياء وحى ، أما نزول الوحى على لسان المَلَك إبَّان اليقظة فيكون للرسل (٣) .

ولقد حاول ابن خلدون أن يُبيِّن أهمية الرؤيا وعلاقتها بالوحى وأنها جزء من النبوة ، ونعرض لرأيه بشىء من التفصيل .

ولقد بيَّن ابن خلدون حقيقة الرؤيا ، فإنها مطالعة النفس الناطقة فى لمحة من اللمحات بسبب النوم للصور الروحانية ، وذلك لأنها تعتبر روحانية بعد أن تتجرد عن المواد الجسمانية وتنقطع علاقتها بالبدن .

فى هذه اللمحة التى تحدث لها بسبب النوم تتصل بالملأ الأعلى فتقتبس علم ما تتشوَّف إليه من الأمور المستقبلة ، وإذا كان ذلك الاقتباس ضعيفاً وغير واضح فإنه يحتاج إلى التعبير ، لأنه يكون رمزاً مشوباً بالمحاكاة والتمثيل والخيال ، أما إذا كان الاقتباس قوياً يستغنى فيه عن المحاكاة فلا يحتاج إلى تعبير لخلوصه من المقال والخيال .

---

(١) الماوردى ، أعلام النبوة ص ٤٠ (٢) ابن حزم : الفِصَل بين الملل والنحل : ٥/ ٢٠

(٣) الماوردى : أعلام النبوة ص ٢٥

ويرى ابن خلدون أن سبب وقوع تلك اللمحة للنفس ، هى أنها ذات روحانية بالقوة مستكملة بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها تعقلاً محضاً ، ويكمل وجودها بالفعل .

أى أن فيها جانباً روحياً ، إلا أن نوعها فى الروحانيات أقل من نوع الملائكة أهل الأفق الأعلى ، لأنه ليس لهم علاقة بالبدن أصلاً .

إلا أن هناك تفاوتاً وتدرجاً لهذه الروحانية الموجودة فى النفس البَشرية ، فمنها ما هو عام ، خاص بالبَشر جميعاً وهو أمر الرؤيا ، ومنها ما هو خاص كالذى للأولياء ، ومنها ما هو للأنبياء وهو الاستعداد بالانسلاخ من البَشرية إلى المَلَكية المحضة التى هى أعلى الروحانيات ، ويخرج هذا الاستعداد فيهم متكرراً فى حالات الوحى ، وهو عندما يعرج على المدارك البدنية ويقع فيها ما يقع من الإدراك يكون شبيهاً بحال النوم شبهاً بيِّناً ، وإن كان حال النوم أدنى منه بكثير ، وعلى هذا فالرؤيا جزء من أجزاء النبوة (١) .

وعلى هذا فالرؤيا بذلك تُعَد شاهداً على قيام النبوة ، وذلك لأن الوحى الذى يهبط على الأنبياء فى يقظتهم شبيه شبهاً ملحوظاً بوحى النيام فى الرؤية وإن تفاوتا فى الرتبة والدرجة (٢) .

ويحاول ابن خلدون أن يدلل على أن الله قد أعطى مثالاً يألفه الناس فى حياتهم وهو الرؤيا ، كدليل على إمكان حدوث الوحى وصدقه لدى الأنبياء .

فهو يذكر الاستعداد البَشرى العام للرؤيا ، لكن هذا الاستعداد له عوائق وهى الحواس الظاهرة ، والله قد فَطَرَ البَشر على ارتفاع حجاب الحواس بالنوم الذى هو جبلى لهم (أى طبيعى لهم) ، فتتعرض النفس عند ارتفاعه إلى معرفة ما تتشوف إليه فى عالَم الحق ، فتدرك فى بعض الأحيان منه لمحة يكون فيها الظفر بالمطلوب .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٩٤ - ٩٥

(٢) دكتور توفيق الطويل : الأحلام ص ٩٤ - ٩٥

ويشرح ابن خلدون بالتفصيل انقطاع علاقة النفس بالحس الظاهر أثناء النوم ، لأن الحواس الظاهرة وكذلك الباطنة من الشواغل التى تصرف النفس وتمنعها عن مطالعة الروحانيات ، فإذا تحللت النفس من تلك الشواغل ، وخفَّت عنها تلك الموانع ، رجعت إلى الصور التى فى الحافظة تمثل منها بالتركيب والتحليل صور خيالية ، وأكثرها ما تكون معتادة لأنها منتزعة من المدركات المتعاهدة قريباً ، ثم ينزلها الحس المشترك الذى هو جامع الحواس الظاهرة فيدركها على أنحاء الحواس الخمس الظاهرة ، وربما التفت النفس لفتة إلى ذاتها الروحانية مع منازعتها القوى الباطنية فتدرك بإدراكها الروحانى ، لأنها مفطورة عليه ، وتقتبس من صور الأشياء التى صَارت متعلقة فى ذاتها حينئذ ، ثم يأخذ الخيال تلك الصور المدركة فيمثلها بالحقيقة أو المحاكاة فى القوالب المعهودة ، والمحاكاة من هذه هى المحتاجة للتعبير ، وتصرفها بالتركيب والتحليل فى صور الحافظة قبل أن تدرك من اللمحة ما تدركه ، هى أضغاث أحلام .

فهذه هى حقيقة الرؤيا ، وهى من خواص النفس البَشرية ، وموجودة فى البَشر على العموم ، لا يخلو عنها أحد منهم ، بل كل واحد من الأناس رأى فى نومه ما صدر له فى يقظته مراراً غير واحدة ، وحصل له على القطع أن النفس مدركة للغيب فى النوم ، وإذا جاز ذلك فى عالم النوم فلا يمتنع فى غيره من الأحوال ، لأن الذات المدركة واحدة ، وخواصها عامة وفى كل حال [1] .

هكذا تكون الرؤيا دليلاً على إمكانية حدوث الوحى ، وصدق الأنبياء ، وذلك لأنه إذا أمكن للنفس أثناء الاتصال بعالَم الغيب أثناء النوم ، فما المانع لها أن تتصل بعض النفوس الممتازة التى لديها استعداد فطرى قوى بعالَم الغيب أثناء اليقظة ، وتتلقى عنه وتُبلِّغ عنه ما تُكلَّف به .

« فإذا جاز أن يُوحَى للإنسان فى حال نومه ، فلماذا لا يجوز له ذلك إبَّان

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٩٥ - ٩٦

يقظته ، مع أن النفس قد تكون أكمل فى اليقظة منها فى المنام ، ولا يغير من هذا رأى الصوفية فى اعتبار النوم المعهود يقظة النفس الصحيحة وتهيؤها للمعرفة الحقة ، فإن النبى يكشف الغيب فى يقظته ومنامه على السواء ، ويقع هذا دوماً من غير انقطاع ، أما غيره من الناس فيعرض لهم ذلك أحياناً وفى حال النوم وحدها » (١) .

ولقد سبق للفارابى أن أثبت الصلة بين الرؤيا والوحى ، وأنها مثال للوحى ، وذلك على طريقة الفلاسفة عندما تحدث عن طرق الاتصال بالعقل الفعَّال .

ولقد سبق التعرض لرأيه ، لكن ما نشير إليه فى هذا الموضع هو حديثه عن الرؤيا كنوع من الاتصال بالعقل الفعَّال أثناء النوم ، وأنه يرى أشياء عجيبة ، وأنه لا يمتنع أن يكون إنسان بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال ، فيقبل فى يقظته عن العقل الفعَّال الجزئيات الحاضرة والمستقبلية أو محاكياتها من المحسوسات ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها ، فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة الأشياء الإلَهية (٢) .

ولقد أحاط بعض رجال الشرع الرؤيا بهالة من القداسة ، فمَن آمن بها فقد آمن بالله واليوم الآخر ، ومَن كفر بها فقد حقت عليه اللعنة وكان من الخاسرين ، وعلمها يفضل غيره لأنه ينفع فى الدنيا والآخرة معاً ، ويستشهدون على ذلك ، بأنها تنفع فى الدنيا ، إذ أن « جالينوس » الطبيب البارع قد عرض وعجز عن علاج نفسه ، ولكن الرؤيا تكفَّلت بإرشاده إلى طريقة العلاج ، وأما منفعة الآخرة فيشهد به زجر النائم عما يفسد دينه وإسداء النصح له بما يهذب عقيدته ، وأنها لتحول الأُمِّى الجاهل الطائش إلى عالِم متزن يعظ ويُبشِّر ويُفسِّر (٣) .

---

(١) دكتور توفيق الطويل : الأحلام ص ٩٥

(٢) سبق أن تعرضنا لرأى الفارابى عند الحديث عن الوحى ويمكن مراجعة رأيه فى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » ص ٧٤ - ٧٦ عند حديثه عن « القول فى الوحى ورؤية الملك » .

(٣) دكتور توفيق الطويل : الأحلام ص ٩٩ - ١٠١ ، ولقد أورد مغالاة بعض أئمة الدين من العلماء والأولياء فى الرؤيا الصادقة .

لكن إذا كان هذا الموقف الذى سبق أن ذكرناه مؤيداً للصلة القوية بين الرؤيا الصادقة والوحى ، وأنها بدايته ، وأنها أيضاً الأثر الباقى منه بعد انقضائه ، إلا أن هناك موقفاً آخر ، قد تشكك فى تلك الصلة بين الرؤيا والوحى ، مع إيمانهم بالوحى والنبوة .

ولقد مرَّ بنا عند الحديث عن تفسير الرؤيا عند المتكلمين ، أن منهم مَن اعتبرها مجرد خواطر أو حديث النفس ، وأنها مجرد خيال ، فعلى هذا يمكن القول أن بعضهم قد غلبته نزعته العقلية ، وأنه رأى أن الرؤيا تفقد شرط الإدراك العقلى ، فمال إلى الشك فيها ، وأنها مجرد تخمين أو مجرد تمثيل للواقع ، وكل ذلك لا يرقى بالرؤيا إلى الثقة واليقين بأنها متصلة بالوحى ، لذا تشكك البعض فى الصلة بين الرؤيا والوحى .

ولقد أرجع أستاذنا الدكتور توفيق الطويل إلحاح بعض رجال الدين فى ربط الرؤيا بالدين وتكفير منكريها ، والإسراف فى إسداء النصح بالإيمان بها ، إلى أن موجة من الشك فى أمر الرؤيا الصادقة وعلاقتها بالوحى قد سادت بين عامة الناس ، ولو شاع الإيمان بها ، واطمأن الناس إلى ما يعزوه إليها دعاتها ، ماقامت الحاجة إلى هذه اللجاجة [1] .

وعلى الرغم من هذه القداسة التى أحيطت بها الرؤيا ، إلا أن البعض قد طعن فيها .

ولقد ناقش أستاذنا الدكتور توفيق الطويل الادعاء الدينى بأن الرؤيا وحى من الله ، وذلك أنه بالرجوع إلى القرآن فإنه لم يتضمن نصاً صريحاً بأنها وحى من الله ، ولم تشر الآية التى تضمنت صنوف الوحى وهى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [2] ، لم تشر هذه الآية صراحة إلى إمكان وقوعه إبَّان النوم ، ولعل

---

(١) دكتور توفيق الطويل : الأحلام ص ١٠٥ - ١٠٧ (٢) الشورى : ٥١

الذين فسَّروا الوحى فيها بالرؤيا قد حمَّلوا لفظه فوق ما يطيق من معنى ، وكذلك يقال فيمن فسَّروا البُشرى بالرؤيا فعمموا بذلك وقوع الوحى لغير الأنبياء والرسل ، ولعل هذا الاتجاه قد لاقى هوىً عند البعض ، فوضعوا الأحاديث النبوية المنحولة ، لتأييد أن الرؤيا وحى من الله .

وإذا كانت الرؤيا وحياً من الله وهى بداية الوحى للنبى ، فإن ذلك لا يستلزم أن تكون رؤيا غير الرسول وحياً من الله ، فليس كل ما جاز له وجب جوازه لغيره .

وإذا كان القرآن قد تضمن رؤى وقعت لبعض الأنبياء وحياً إلهياً ، فإن هذا لا يقتضى وقوع مثلها لغير الأنبياء ، فمن الجائز أن يخصهم الله بغير ما يخص به سائر الناس .

وإذا كان هناك تحقيق لبعض الرؤى عن طريق المصادفة فلا يعنى ذلك إطراد صدقها .

وعلى كل فإن نزوع المفكرين إلى ربط الرؤيا بالدين ، شىء طبيعى وقع لغير المسلمين من شعوب ، حتى قبل نزول الأديان المقدسة (١) .

ولعل فى موقف الفارابى من أنه ليس كل النفوس مهيأة للاتصال ، وأن ذلك لأرباب الفطر الممتازة وأصحاب القوى المتخيلة القوية الصافية ، ما يؤيد ذلك الرأى الذى يذهب إليه أستاذنا ، حيث إنه يمكن القول بأن الرؤيا وحى بالنسبة للأنبياء ، وليست عامة عند كل البَشر .

* * *

١١ - آراء العلماء المعاصرين

الوحى له طبيعة خاصة ، فهو نوع من الاتصال يتميز عن غيره من أنواع الاتصال الأخرى ، فهو ليس كاتصال المحسوس بالمحسوس ، أو كاتصال العقل

---

(١) دكتور توفيق الطويل : الأحلام ص ١١٧ - ١١٩

بالمدركات العقلية ، فهو ليس من الحوادث ذات الطبيعة المادية ولا من جنس المدركات العقلية ، بل هو اتصال ذو طبيعة خاصة ، فهو اتصال المرئى باللامرئى اتصالاً لا مرئياً ، أى يتلقى النبى عن ربه كلامه وأوامره بطريقة خفية .

ولعل هذه الطبيعة الخاصة للوحى جعلت إمكان حدوثه عند البعض من الناس أمراً صعباً وليس ميسوراً ، إذ أن فيه خروجاً على ما اعتادوه وألفوه ، ومن هنا لم يكن ميسوراً لكل الناس أن يعرفوه بطريقة تفصيلية ، وسلم به البعض بطريقة إجمالية .

لكن ليس معنى تلك الصعوبة كون الوحى مستحيلاً ، أو يكون ذلك مبرراً لإنكار الوحى ، ولقد حاول المفكرون الإسلاميون على مختلف اتجاهاتهم ونزعاتهم إثبات إمكانية الوحى ، كل وفق منهجه ومذهبه ، حيث قدَّموا الأدلة المتنوعة العقلية والوجدانية والشعورية على إثبات الوحى ووقوعه بالفعل .

وقد يقف وراء صعوبة الوحى أو إنكاره الاقتصار على الحقائق المحسوسة فقط وعدم الإيمان بحقائق لا محسوسة .

ولقد رد على ذلك المفكرون الإسلاميون - كما سبقت الإشارة - قديماً وحديثاً على ذلك ، ونجد بعض المفكرين الغربيين أمثال « هكسلى » و« ألكسيس كاريل » وغيرهما يؤكدون على وجود حوادث من طبيعة أخرى روحية ، وأن هناك آفاقاً أخرى غير الآفاق التى يجول فيها العلم ، وأن لدى الإنسان موهبة خاصة لإدراك هذا النوع من الحوادث ، فهناك تجربة روحية كالتجربة الحسية (١) .

وأيضاً هناك وقائع كثيرة تجرى من حولنا ونحن نعجز عن إدراكها أو سماعها أو الإحساس بها بواسطة أجهزتنا العصبية . وقد استطاع العلم الحديث أن ييسر لنا إدراكها بفضل الأجهزة العلمية التى اخترعناها ، وهذه الأجهزة تستطيع أن تدل على صوت ذباب على بُعْد بضعة أميال ، وكأنه يطير عند أذنيك ، وهذه الطاقة

---

(١) محمد إقبال : تجديد الفكر الدينى ص ٧٧

غير العادية للسماع لا تخص الآلات العلمية الحديثة ، وإنما وهبها الله لبعض الحيوانات أيضاً ، فالكلب مثلاً يستطيع أن يشم ريح الحيوان الذى مرَّ من الطريق ، ثم استُغلت الكلاب فى البحث عن الجرائم والمجرمين ، فالقفل الذى كسره اللص يشمه الكلب المدَّرب ثم ينطلق مقتفياً أثر الرائحة المعينة التى وجدها عند القفل وفجأة نراه يمسك اللص من بين الألوف ، وقد أثبتت البحوث أن « أبو النطيط » العادى لديه قدرة خارقة على السماع حتى إنه يستطيع أن يسمع ويحس الحركة التى تحدث فى نصف قطر من ذرة الهيدروجين [1] .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، وهى تؤكد إمكان وجود وسائل غير مرئية لدى ذوى الحواس الخاصة ، وعلى هذا فلا يصح التشبث بالوسائل المرئية الحسية فقط ، فهناك وسائل غير حسية ولا مرئية ، والوحى هو من ذلك النوع الذى لا تكون وسيلته مرئية وحسية ، بل هو من ذلك النوع اللامرئى واللاحسى .

وإذا كان العقل يُسلِّم ببعض الأشياء التى لا يعرف حقيقتها ، بل يُسلِّم بها عن طريق آثارها ونتائجها ، كالكهرباء مثلاً ، فلِمَ لا يُسلِّم بالوحى عن طريق آثاره ونتائجه والمتمثلة فى مضمون الوحى ذاته من تعاليم وأوامر الله ونواهيه ، وأثر ذلك فى نفوس الناس وتوجيهها فكراً وعملاً إلى الأفضل دائماً ، وإلى تحقيق الخير .

أى أن مضمون الرسالة وصلاحيتها لاستقامة حياة الناس ، هو أكبر دليل على إثبات الوحى ، وأنه من عند الله ، إذ أن مضمونه يفوق قدرات وإمكانيات البَشر ، وليس بوسعهم أن يأتوا بمثل هذا المضمون ، وسوف نتناول ذلك بالتفصيل فى الفصل التالى .

❊ ❊ ❊

---

(١) دكتور الغمراوى : الإسلام فى عصر العلم ص ٢٣٧ ، نقلاً عن كتاب الدكتور عبد المقصود عبد الغنى : موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة ص ٥٥